الطريق إلى الله تعالى

نظم وترتيب شيخنا العارف بالله الإمام الشيخ محمد خليل الخطيب
رضى الله عنه

شرح تلميذه

عبد السّلام محمّد أبى الفضل

امام وخطيب مسجد المتولى بالمحلة الكبرى

297

الطريق إلى الله تعالى

نظم وترتيب شيخنا العارف بالله الإمام الشيخ محمد خليل الخطيب
رضى الله عنه

شرح تلميذه

عبد السلام محمد أبي الفضل

امام وخطيب مسجد المتولى بالمحلة الكبرى

الطبعة الثالثة
١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين أنعم علينا بالإسلام ، وهدانا للإيمان وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله سبحانه جعل الإسلام نوراً وهدى لنوره من شاء (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) ،

أحمده وأشكره وأتوب إليه وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله الصادق الوعد الأمين نبي الهدى الذى طهر قلبه وختم به الرسالة ربه إمام كل رسول ونبي وسيد كل عالم وتقى القائل (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه(١))

اللهم صل وسلم وبارك على إمام المرسلين وسيد المتقين وشفيع المذنبين وحبيب رب العالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين :

أما بعد :

فى ليلة الأحد ليلة إحدى وعشرين من شهر جماد أول سنة ١٤٠٣ هـ رأيت شيخنا العارف بالله سيدنا وأستاذنا الشيخ محمد الخطيب شاعر النبى الحبيب ﷺ رأيته فى المنام كأنه يحثنى على قيام الليل وكم رأيته رضى الله عنه وأستبشر برؤيته خيراً جزاه الله عنا خير الجزاء فانتبهت من النوم وقد ألقى الله فى قلبى أن أكتب تعليقاً موجزاً على قصيدته العظيمة (الطريق إلى الله تعالى) وهى أحسن نظم قرأناه فى التصوف الصحيح الذى هو الإسلام

---

(١) متفق عليه

حقيقة المبنى على الكتاب والسنة لا يحيد عنهما قيد شعرة ، وكم نويت هذا التعليق وتراجعت عنه لأنى لست من فرسان هذا الميدان ولا من أهل هذا الشأن ، وفى هذه المرة وجدت رغبة قوية حتى خطرت لى فى صلاة الفجر فاستخرت الله تعالى بعد ظلوع الشمس وبدأت أكتب متطفلا على موائد الكرام ومن تطفل على موائد الكرام لا يضام والآن أشرع فى المطلوب مستعيناً بعلام الغيوب فمن استعان بالله بلغ مناه وفوق مناه وأسأل الله الذى لا يرد من سأله ولا يخيب من قصده التوفيق والقبول .

سبحان من لا يخيب من قصده　　من قصد الله صادقا وجده

قد شمل الخلق بفضل نعمته　　كل إلى فضله يمد يده

يا رب ارزقنا الصدق والإخلاص وأغننا عن شرار الناس وانفعنا وانفع بنا وعاملنا بفضلك ولا تعاملنا بأعمالنا فنى ما يليق بلؤمى ومنك ما يليق بكرمك يا أكرم الأكرمين يا أرحم الراحمين يارب العالمين .

باسم الله أكتب تعليقا موجزاً على قصيدة شيخنا الإمام رضى الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه ، فكلها حكم ومواعظ غالية سبحان من هدى شيخنا اليها وأنطقه بها وكم أنطقه الله بالحكم (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً). وهاأنذا أسوق القصيدة كاملة تيمنا بها ثم أكتب . التعليق عليها بيتا بيتا . والله المستعان وعليه التكلان . ومنه العون والتوفيق

عبد السلام محمد أبو الفضل

الطريق إلى الله تعالى

قال الولى العارف بالله تعالى الإمام الأستاذ الشيخ: محمد خليل الخطيب رضى الله عنه :

يا ناشِدَ الوصْلِ خُذْ وصفَ الطريقِ له
وجِدَّ فيها عسى تدنو من الحكَمِ

أمسك فؤادَك إلا عَن تذكُّرِه
وبيتَك الزَمْ وجُد بالدمع مثلَ دَمِ

واعزِمْ وذِلَّ وصِل فيه وبُتَّ وتُبْ
واسمح ولِنْ واستعن واستهدِ واستقِمِ

واسهر وجُع واعتزِل واصمُت وَرَجِّ وخَفْ
واذكر وفكر وراقب واسمُ واحتشِمِ

وخل نفسَك واصدُق فى معاملةٍ
وارحل إليه تَنَلْ خيراً وتغتنِمِ

وَخَلِّ همَّك وجهَ اللهِ منفرداً
تُكفَ الهمومَ وتبلغْ قمةَ القِمَمِ

واعبده بالعلم والإخلاص لأنَّهُما
روحُ العبادةِ من فعلٍ ومنْ كلِمِ

وفيه جاهد تشاهدْ ما أعدَّ لِمنْ
فى الله قد جاهدُوا من فضلِ ربِّهِمِ

وخالف النفس واحذر مكرها أبداً
فقد تدسُّ وَحِيَّ السُّمِّ فى الدسَمِ

وأعطها حظَّها المشروعَ تقويةً
على المسير وإن تحسمه تنحسمِ

وصم عن السكون حبا فى مكونه
واستغفرنه وفى مشروعه أقم
واقطع نهارك بالتقوى وقم سحراً
فكم لربك فى الأسحار من كرم
نادى وقد نزل الدنيا بلا شبه
سبحانه عن صفات الخلق كلهم
يا راغبا نعمى يا راهبا نقمى
يا سائلا كرمى ينهل كالديم
إلىَّ ولِّ وعن غيرى تولَّ
وكن عبدى أصيرْ لك الدنيا من الخدم
وابذل لى النفس والدارين كلهما
وما هويت تكن عبدى على قدم
واحمد لأحمد من مدَّ الوجود ومن
عليه فضلى غدا فى غاية العظم
واشكره إذ نعمى الكبرى على يده
مرت إليك وإن تشكر له تدم
ولا تغرنك الدنيا وبهجتها
فإنها والذى فيها إلى عدم
هى المتاع قليلا فانياً أبه
تبيع حظك فى الأخرى من النعم
إياك إياك والأحداث تصحبها
والغيد تسلم فكم فى ذين من نقم
وإن سبتك الدمى فانظر بفكرك ما
تغدو إليه الدمى فى ظلمة الرجم
وجىء بخير وقل خيراً وإن جنحت
للشر نفسك فاحذر ربة الضرم

وَلاَ تُفرِطْ وخُذْ بالحزم مُتَّكِلا
فالأخذ بالحزم منجاةٌ مِن الحَزَمِ
وألزِمِ النفسَ ذِكْرَ الموتِ تُلفِ بِهِ
عونا على زهد دار الهمِّ والشَّجَمِ
وإن قسا القلب فالأجداثُ موعظةٌ
بهـا ترِقُّ وتَهْمِي عَبْرةُ النَّدَمِ
إذا تَأَمَّلْتَ من فيها فلستَ ترى
مُفَرَّقاً بَيْنَ صِيدِ الناسِ والخَدَمِ
ولا مَلِيٍّ وذى فَقْرٍ ومن دُفِنُوا
فى سَبْسَبٍ مَجْهَلٍ أوباذِخِ الأُطُمِ
وكيف والتُّربُ أبلاهم وقد مُزِجتْ
رِمُّ الهوادِي برِمِّ الساق والقدَمِ
وما ملكتَ فقل يانفسُ سوف يُرَى
مِلْكا لغيرِي كما قد كان مِن قِدَمِ

الشرح

قال شيخنا رضى الله عنه :

(يا ناشدَ الوصْلِ خُذ وصفَ الطريقِ له
وجِدَّ فيها عسى تدنُو من الحكَمِ

وأقول إن شيخنا جزاه الله أحسن الجزاء من خير السالكين طريق الله والواصلين إليه والداعين إلى هداه وهو من كبار علماء الأزهر المحققين ومن خير الهداة المرشدين بأقوالهم وأعمالهم ولولا أنى أستحى من تواضعه الحقيق لقلت هو أعلم من رأينا يدعو إلى الله بحاله ومقاله ويجاهد فى سبيله بنفسه وماله وتأمل قصيدته هذه تجد عجباً وتَبْهَرُ ومن قرأها أو سمعها ولم يرغب إلى الله فهو كالحجَرِ .

إسمع وهو يقول يا ناشد الوصل يعنى يامن تريد الوصل إلى الله والوصل إلى الله تعالى ليس بالمسافات ولا بالخطوات(١) ومن ظن أن الله يوصل إليه بالخُطى(٢) فقد وقع فى الخَطَا، ومن ظن أن الله يحجب بالغطا فقد حرم العَطاء ولكن الوصل إلى الله بالقلوب فمن صفا قلبه كان مع ربه وكان الله معه معية تليق بجلاله تعالى .

سمعت من شيخنا الخطيب « من كان مع الله كان الله معه ومن كان الله معه كان ملك الله فى خدمته » .

---

(١) هذه من حكم سيدى ابن عَطاء الله السكندرى .

(٢) بالخطى : أى خطوات الأقدام . والخطأ ; أى الخطأ يعنى جانب الصواب والغطا أى الغطاء أى الحاجب الحس والعطا أى العطاء : وهو الإكرام من الله تعالى فإنه تعالى ليس كمثله شىء .

قال شيخنا خذ وصف الطريق له فهو يصف الطريق بغاية التحقيق يقول (وجِدَّ فيها) لأن من جَدَّ وجَد ومن رقد خمد ، من جاهد شاهد ومن رقد تباعد والطريق إلى الله كما قال بعضهم كالعروس ومهرها قتل النفوس أى مخالفتها كما ستعرف من قصيدة شيخنا .

وكلنا مأمور بسلوك الطريق إلى الله قال تعالى (إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) وأغلى شيء يطلب فى الوجود هو الطريق إلى الله لأنه الموصل إلى رضاه ورضا الله غاية كل كريم ومقصد كل نبيل وذلك لا يكون أبداً إلا باتباع رسول الله ﷺ فى أقواله وأفعاله ، وكل عمل يخالف هدى رسول الله ﷺ مردود على صاحبه مضروب به وجْهه قال ﷺ «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد(١) ومن حكم شيخنا المنظومة :

يامن له عض الزمان بِنابِهِ — وأتت مصائبُهُ إليه دِراكا
علق فؤادك باتباع محمد — واجعله خيرَ وسيلة لنجاكا
لا نعمة فى تلك أوفى هذه — كانت نصيبك أو نصيبَ سواكا
إلا وكان السرَّ فيها المصطفى — فاعـرف مكانتَه يتمَّ هداكا

نجد فى الطريق على هدى المصطفى ﷺ تدنو من الحكم وهو الله قال شيخنا :

(أمسك فؤادك إلا عن تذكره وبيتك الزم وجُدّ بالدمع مثلَ دم)

الله أكبر ما أحسن هذا الكلام إنه مأخوذ من الكتاب والسنة أمسك فؤادك إلا عن تذكره أى لا تجعل فى قلبك غير ذكر الله قال تعالى (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) وبيتك الزم بعيداً عن الشر والأشرار والقيل

---

(١) رواه مسلم . ورواه البخارى معلقا فى صحيحة فى كتاب الاعتصام باب أجر الحاكم إذا اجتهد ورواه البخارى موصولا فى كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على جور ولفظه (من أحدث فى أمرنا هـــذا ما ليس منه فهو رد »

والقال بعد أداء العمل الذى لابد منه وأداء فرائض الصلاة فى بيت الله ، لتوجه أهلك وتعلم ولدك أمر الدين .

إعلم وعلم جميعَ أهـــلِك واستحِ من جهلهم وجَهْلِك

وجالس العلمـــاء وتعلم منهم وبلغ ما تعلمت إلى غيرك وكن دائماً فى خدمة الإسلام يكرمك الله غاية الإكرام ولا تكن من من اللئام اللذين لاهم لهم إلا فى لذة أو منام وقوله وجد بالدمع مثل دم. ظاهر بأن تتذكر ذنوبك وعيوبك وما ضيعت من وقتك ووقوفك بين يدى الله فتبكى من خشية الله والبكاء من خشية الله من أجل نعم الله ينعم بها على من أحب من عباده وكلام شيخنا الخطيب مأخوذ من كلام الحبيب ﷺ فعن عقبه بن عامر قال لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذت بيده فقلت يارسول الله بم نجاة المؤمن؟ قال «ياعقبة أخرس لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك» قال ثم لقينى رسول الله ﷺ فابتدأنى فأخذ بيدى فقال «ياعقبة بن عامر الا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت فى التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم» قال قلت بلى جعلنى الله فداك قال : فأقرآنى (قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس) ثم قال(ياعقبة لا تنسهن ولا تبت ليلة حتى تقرأهن قال عقبة ثم لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذت بيده فقلت يارسول الله أخبرنى بفواضل الأعمال فقال « ياعقبة صل من قطعك وأعط من حرمك وأعرض عمن ظلمك »رواه أحمد والترمذى مـــع اختلاف فى اللفظ . اللهم خلقنا بهذه الأخلاق الكريمة يارب .

قال شيخنا رضى الله عنه :

(واعزم وذِلَّ وصل فيه وبُتَّ وتب
واسمح ولن واستعن واستهد واستقم)

والعزم على الشيء إرادة فعله مع القطع والهمة ومن كان ذا همة بلغ القمة والمراد العزم على سلوك الطريق إلى الله مهما تحصل فى سبيل ذلك من مشقات فمن عرف قدر ما يطلب هان عليه ما يبذل .

قيل دخل جماعة على عمر بن عبد العزيز يعودونه فى مرضه فرأى فيهم شابا يبدو عليه أثر الجهد فقال ياغلام ما الذى بلغ بك ما أرى قال ياأمير المؤمنين أمراض وأسقام قال سألتك بالله إلا ما صدقتى قال ياأمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة لذلك أسهرت ليلى وأظمأت نهارى وقليل ما أنا فيه فى جنب ثواب الله أو عقابه .

قال رسول الله ﷺ (من خاف أدْلَجَ ومن أدلج بلغ المنزلَ ألا إن سلعة الله غاليةٌ ألا إن سلعة الله الجنة)(١) . ولله در من قال :

من يشترى جنةً فى عدنٍ عاليةً
فى ظل طوبى رفيعاتٍ مبانيهـــا
دلالهـــا المصطفى والله بائِعُها ... ممن أراد وجـــبريل مناديهـا

فمن تكاسل عن طريق الجنة فرحا بدنياه متبعا هواه فهو جهول مخذول لا عقل له مهما بلغ من الدنيا قال تعالى (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون) .

وقال رسول ﷺ (الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له) رواه الإمام أحمد .

قال شيخنا وأعزم وذل . أى وكن فى غاية الذل لله تعالى فالذل لله تعالى هو العز قال بعضهم قصدت أبواب الله فوجدتها مزدحمة إلا باب الذل وجدته خاليا فدخلت منه .

---

(١) رواه الترمذى والحاكم

قال شيخنا فى دعائه :

(ياحى ياقيوم يارب البداية والنهاية
بالذل نسألك العناية والوقاية والكفاية)

ومن الذل لله تعالى تذلك للوالدين امتثالا لأمر الله . قال تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً) وكذلك الذل لمن يرشدنا إلى الله تعالى وللأولياء والصالحين والمؤمنين قال تعالى (واخفض جناحك للمؤمنين) أما الذل لأهل الدنيا من أجل دنياهم فهو الخسة والعار .

وقول شيخنا (وصِلْ فيه وبُتَّ) أى وصل فى الله من واصلوه وبت أى اقطع من قاطعوه أى ابتعدوا عن طريقه . ومعناه الحب فى الله والبغض من أجل الله أى حب من والاه وبغض من عاداه . ومن حكم شيخنا :

وصل من واصلوه ولو عبيداً ... فإن وصالهم جمع المزايا

ومن السبعة الذى يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله كما فى حديث البخارى (رجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه) وتأمل الحديث القدسى الذى رواه البخارى (من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب) إلخ ، والولى يشمل كل مؤمن بدليل قوله تعالى (الله ولى الذين آمنوا) فلا تعاد مؤمناً ولا توال كافراً . قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه (لا تتخذ من المؤمنين عدواً ولا من الكافرين وليا) ولا شىء أنفع للقلوب من محبة الصالحين ومعاشرتهم ومعرفة أقوالهم وأفعالهم . قال بعضهم :

لى سادة من عزهم أقدامُهم فوق الجباه
إن لم أكن منهم فلى فى حبهم عزٌ وجاه

أما معاشرة الجهلة والفسقة والظالمين فهى سم للقلوب وبعد عن طريق علام الغيوب ، لأنهم شياطين وبهائم فى صورة بنى آدم . ولله در من قال :

واعلم بأن عصبةَ الجهال ... بهائمٌ فى صورة الرجال

وقال آخر :

عاشر من الناس كبار العقول ... وجانب الجهال أهل الفضول
واشرب نقيع السم من عاقل ... واسكب على الأرض دواء الجهول

وقول شيخنا (وتب) إرشاد قويم وتنبيه كريم إلى أمر عظيم وهو التوبه لأنها أساس كل نجاح وفلاح . ومن بنى أعماله على غير توبة كان كمن يبنى على غير أساس وهى الرجوع من الأوصاف الذميمة إلى الأوصاف الحميدة ، ومن الجهل إلى العلم ومن المعصية إلى الطاعة هى فرار إلى الله تعالى قال تعالى (ففروا إلى الله) وقال تعالى (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) وقال سيد الأولين والآخرين ﷺ فى الحديث المتفق عليه «لو أن لإبن آدم واديا من ذهب أحب أن يكون له واديان ولن يملأ فاه إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب) وشرطها الندم على ما فات من الغفلات والسيئات والإقلاع حالا عن الذنوب والهفوات والعزم على أن لا يعود إليها أبداً حتى الممات، ورد المظالم إلى أهلها بقدر المستطاع واستدراك ما فات من الحقوق والواجبات ولزوم الاستقامة فى جميع الأوقات قال تعالى (وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) ،والكلام فى التوبة كثير والنبيل يكفيه القليل فى تحريك همته إلى الملك الجليل ومن مات قلبه لا يفيد فيه الكلام فاحذروا موت القلوب فإنه أعظم المصائب وأكبر الذنوب .

(إذا قسى القلب لم تنفعه موعظة
كالأرض إن سبخت لم ينفع المطر)

وكان رسولنا الكريم ونبينا العظيم ﷺ يقول فى المجلس الواحد(رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم) مائة مرة .

وقول شيخنا (واسمح) السماح والسماحة الجود والمسامحة المساهلة أى كن كريما سهلا فأحسن أخلاق المرء فى معاملته مع الحق التسليم والرضا وأحسن أخلاقه فى معاملته مع الخلق العفو والسخاء قال تعالى (ولا تنسوا الفضل بينكم) وقال رسول الله ﷺ : (رحم الله رجلا سمحا إذا باع

وإذا اشترى وإذا اقتضى) رواه البخارى وقوله (ولن) من اللين الذى هو من أخلاق المؤمنين ويكون اللين فيما لا يضر بالدين فلا يلين مثلا مع زوجته وبناته حتى يخرجن متكشفات متبرجات ولا يلين مع أولاده حتى يتركوا الصلاة فالتبرج وترك الصلاة من مصائب هذا الزمان فالرجل إذا لان مع بيته إلى هذه الدرجه كان مجرما ومضيعا . وما أفسد النساء إلا فساد الرجال فعندما ترى الرجل يغضب إذا طلب من زوجته كوب شاى وتأخرت ولا يغضب إذا تركت الصلاة أو خرجت من بيتها مكشوفة الرأس أو كاشفة عن زينتها فهو فاسق ومضيع والويل له من الله ، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) وقال ﷺ: مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم فى المضاجع(١). ومن أعظم الذنوب التى يلقى الإنسان بها ربه جهالة أهله لأنه مسئول عنهم ودين الإسلام لا يرضى لتارك الصلاة أن يمشى على وجه الأرض ولكن يحكم عليه بالسجن أو ضرب رقبته بالسيف إن لم يتب وكان رسولنا الكريم ﷺ لا يغضب لنفسه فإن انتهكت حرمات الله لا يقوم لغضبه شىء . اللهم خلقنا بأخلاقه الطاهرة ﷺ .

وقول شيخنا (واستعن) أى استعن بالله فى كل أمورك :

إذا لم يكن عون من الله للفتى   فأول ما يجـــنى عليه اجتهاده

وقد أمرنا أن نقول فى كل ركعة (إياك نعبد وإياك نستعين) .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين)فركنا الإستعانة بالله هما الصبر والصلاة ويطلب أيضا الاستعانة بالمؤمنين فى مصالح الدنيا والدين مع الاعتماد على رب العالمين .

قال تعالى(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) وفى الحديث (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) (٢).

---

(١) احمد وابو داود والحاكم

(٢) البخارى ومسلم والترمذى والنسائى

وقال الشيخ السيد محمد عبد الرحيم :

في عون أخيك فكن شهما   تلق المعوان ولم تُضَم

وقول شيخنا (واستهد) اطلب الهدى من الله فلا مهدى إلا من هداه الله . قال تعالى (من يهد الله فهو المهتد) ونحن نقول في كل ركعة (اهدنا الصراط المستقيم) ورسولنا الكريم — صلى الله عليه وسلم خيرُ هَادٍ إلى الصراط المستقيم .

قال تعالى مخاطبا له (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) أى تدل عليه وترشد إليه أما خلق الهداية في القلوب فليست إلا بيد علام الغيوب . قال تعالى (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) . وعليك أن تتضرع إلى الله في طلب الهداية مسترشداً بالشيخ الناصح ، والأخ الصالح .

اللهم اهدنا بهداك وبلغنا رضاك ياغنى يا كريم .

وقول شيخنا : (واستقم) أى الزم الاستقامة وهى متابعة النبي ﷺ في الأقوال والأفعال مع المداومة على ذلك حتى الموت وهى أجل نعمة في الوجود وخير ما تطلبه من الله ما هو طالبه منك ، وهو يطلب منك الاستقامة لمصلحتك لأنه الغنى على الإطلاق . ومن قرأ هذه الآية ولم ينهض للاستقامة فهو جهول مخذول وهى قوله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفى الآخرة)الآيات .

تأمل يا أخى في هذه تجد سعادة الدنيا والآخرة وشرف الدنيا والآخرة في الاستقامة ومن لم يفهم ذلك فلا فهم شيئا . وتأمل الصحابى الذى قال : يا رسول الله قل لى في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك ؟ قال : قل آمنت بالله ثم استقم) رواه مسلم .

والاستقامة خير من ألف ألف كرامة وسمعت بأذنى من الشيخ سلامة

العزامى وكان من العلماء العاملين والأولياء الصالحين فى درس كان يلقيه فى مسجد سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه قال : حكى أن راهباً كان يعلو فى الهواء خطوات ويعتبر ذلك من باب السحر وكان تلامذته مفتونين بذلك ومر عليه أحد المسلمين الصالحين ومعه تلامذته فرأوا ذلك فنظر التلامذة المسلمون إلى شيخهم فعرف نظرتهم يعنون كيف يستطيع هذا أن يطير فى الهواء مع أنه على الباطل فتقدم الشيخ وأشار إلى حذاء ملق على الأرض ، فطار الحذاء على رأس القسيس وصار يضربه على رأسه حتى ألصقه بالأرض ليفهم التلامذةُ المسلمون أن أمور الدجل والشعوذة لا يلتفت إليها .

والمدار كله على الاستقامة أجمع على ذلك جميع المشايخ والصالحين ، وقال قائلهم لو رأيتم الرجل يتربع فى الهواء فلا تبالوا به حتى تنظروا إلى استقامته مع الشرع والدين .

وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى : إذا وجدتم الفقير أى من انتسب إلى الصالحين لا يحضر فى أوقات الصلوات الخمس فلا تبالوا به . ويجب أن نلتزم الاستقامة حتى نموت عليها .

وما يتظاهر به بعض الدجالين من الدروشة مع إهمالهم الصلاة ، ويدعون أنهم سقطت عنهم الصلاة لحالة بينهم وبين الله وعقولهم حاضرة فهو كذب ودجل وكفر يخلدون به فى النار إذا لم يتوبوا قال شيخنا فى عقيدته عقيدة أهل السنة وأهل الجنة :

ومن يقُل ولم يُجَنّ سقَطا
تَكْليفُهُ فإنه قد سقطا
وإِنه شَرٌ من الكفار
وما له إلا خلودُ النارِ

اللهم من علينا بالاستقامة حتى نموت عليها يا رب العالمين .

قال شيخنا رضى الله عنه :

(واسهر وجع واعتزل واصمت ورَجِّ وخَفْ

واذكر وفكر وراقب واسْمُ واحتَشِمِ)

سبحان الله ذكر شيخنا فى هذا البيت أركان الطريق التى أجمع عليها أهل التحقيق وهى السهر والجوع والاعتزال والصمت ، فمن رغب فى طريق الله لا بد له من هذه الأمور ، ولا خير فى الحياة إذا لم نسلك الطريق إلى الله :

على نفسه فليبك من ضاع عمره

وليس له فيها نصيبٌ ولا سهم

والسهر يكون فى طاعة الله كما وصف الله المتقين بقوله تعالى :

(كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون) .

وقال تعالى (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائما يحذر الآخرة ، ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون . إنما يتذكر أولو الألباب) .

وقال تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) .

فإذا كان صاحب المقام المحمود لايصل إلى المقصود إلا بكثرة الركوع والسجود فكيف يطمع فى الوصول من ليس له محصول . و كثرة السهر فى سبيل الله ترقق القلوب و تصل صاحبها بعلام الغيوب وكل سهر فى غير طاعة باطل :

سهر العيون لغير وجهك باطل

وبكاؤهن لغير فقدك ضائع

وأقل ذلك أن تصلى العشاء فى جماعة والفجر فى جماعة . فمن صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الفجر فى جماعة فكأنما صلى الليل كله كما فى الحديث ، وما أحسن الاستغفار فى الأسحار . ووقت السحر هو ثلث الليل الآخر يتجلى الله فيه على العباد فلا تحرم نفسك من هذا الشرف العظيم ولو أعطيت الدنيا كلها وحرمت هذا الشرف فأنت محروم .

قال سيدى إبراهيم الدسوقى رضى الله عنه : وكل من يدعى أنه من الصالحين وهو ينام وقت الأسحار فهو كذاب . فقم فى الأسحار وناد الملك الغفار عسى أن يدخلك مع الأبرار .

ولله در من قال :

تشاغل قوم بدنياهم وقوم تخلّوا لمولاهم
فألزمهم باب مرضاته وعن سائر الخلق أغناهم
يصفون بالليل أقدامهم وعين المهيمن ترعاهم

وقول شيخنا (وجع) لأن الجوع ركن مهم من أركان الطريق وهو مطلوب صراحة بالصيام لأن من أكل كثيراً نام كثيراً ومن نام كثيراً فاته خير كثير ، وقد قال أهل الطريق لو كان الجوع يباع ، ما كان لأهل الآخرة أن يشتروا سواه ومن كانت همته فى ملء بطنه فقيمته ما يخرج منه وأصل الآفات كلها من ملء البطون .

واقرأ فضل الجوع فى « رياض الصالحين » وفوائده فى « إحياء علوم الدين » تجد عجبا .

وكيف كان المصطفى — ﷺ يجوع ولو سأل الله أن تكون الجبال له ذهباً لكانت والبطن عضو إن شبع جاعت الأعضاء وهاجت على المعاصى

وتشاغلت بالباطل وإن جاع شبعت الأعضاء وسكنت وهذا أمر لا يشك فيه من عنده ذوق :

فلو كانت الدنيا جزاءً لمحسن
إذا لم يكن فيها معاشٌ لظالم
لقد جاع فيها الأنبياءُ كرامةً
وقد شبعت فيها بطونُ البهائمِ

وكلما قلل الإنسان من الشهوات . وأكثر من الذكر ، والعبادات كان أشبه بالملائكة وكلما أكثر من الشهوات وقلل العبادات كان أشبه بالبهائم ، وأقسم بعض الصالحين بأن الله ما صافى أحداً إلا بالجوع ، فإن قلت أن رسول الله — ﷺ — قد استعاذ من الجوع وقال : اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، فالجواب والله أعلم أنه استعاذ من الجوع الشديد الاضطرارى الذى ليس معه صبر .

أما الجوع عبادة وتريضاً فهو أصل الخيرات كلها ، وخير الأمور أوساطها .

قال تعالى : (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) ، ويطلب أن تكون عفيفاً خفيف المئونة يكفيك القليل وما قدم إليك ولو خبزاً بملح رضيت وشكرت الله وملك كسرى تغنى عنه كسرة ومن لم يحفظ بطنه لم يحفظ فرجه .

وتأمل الحديث: (ما ملأ إبن آدم وعاء شراً من بطنه . حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه (١) حتى قال بعض الأجانب لقد جمع محمد ﷺ الطب كله فى كلمة ،فعليك يا أخى بكثرة الصيام تبلغ المرام وفى الحديث (عليك بالصوم فإنه لا مثل له)(٢).

---

(١) سنن الترمذى كتاب الزهد باب كراهية كثرة الأكل
(٢) النسائى وابن حبان وأحمد والحاكم

قال شيخنا (واعتزل) والعزلة أيضا ركن من أركان الطريق فاجعل لك نصيبا منها بقدر المستطاع ولا تجعل وقتك كله مع الناس فإنهم يقطعونك عن الله وقد نسب إلى إمامنا الشافعي — رضى الله عنه أنه قال :

لقاء الناس ليس يفيد شيئا   سوى الهذيان من قيل وقال
فابعد عن لقاء الناس إلا   لأخذ العلم أو إصلاح حال

فلا تجلس إلا مع أحد رجلين رجل جلست اليه يعلمك خيرا فتقبل منه أو رجل تعلمه خيراً فيقبل منك والثالث اهرب منه والإسلام خير جليس بل إن دخلت القبر ومعك الإسلام فأبشر وما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة .

قال شيخنا (واصمت) والصمت أيضا من أركان الطريق ، وكم فيه من فوائد والمراد الصمت إلا من خير كما قال رسول الله ﷺ (ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)(١)، وإذا رأيت الرجل يؤثر السكوت على الكلام فاقترب منه فإنه من أهل الحكمة وإذا رأيت الرجل يكثر الكلام بغير حاجة فاعلم أن قلبه خرب من الحكمة ومعرض لآفات تلقى به فى جهنم وبئس المصير، وياليتنا نعمل. يقول الله تعالى (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وبالجملة من حفظ لسانه حفظ دينه ومن لم يحفظ لسانه لم يحفظ دينه .

قال بعض العارفين : طلبنا أربعة فوجدناها فى أربعة : طلبنا رضا الله فوجدناه فى طاعته ، وطلبنا سعة الرزق فوجدناها فى صلاة الضحى وطلبنا سلامة الدين فوجدناه فى حفظ اللسان . وطلبنا نور القبر فوجدناه فى صلاة الليل . وقال سيدنا عمر رضى الله عنه كلمة أغلى من الدنيا وما فيها، وهى : (ذكر الناس داء وذكر الله شفاء) فتأمل هذه الأربعة فهى أركان الطريق

(١) البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه وأحمد

كما قال أهل التحقيق :

بيت الولاية قسمت أركانه ساداتنا فيه من الأبدال
ما بين صمت واعتزال دائما والجوع والسهر النزيه الغالى

بعد ذلك قال شيخنا(ورَجِّ وخف) يرشدنا إلى الرجاء والخوف ولا بد منهما لكل مؤمن وخاصة من يسلك الطريق إلى الله حتى قالوا لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا فهو يرجو الله مهما كانت ذنوبه ولا ييأس من رحمته أبداً كما يخافه ولو قطع الليل والنهار عبادة .

والرجا يكون مع التوبة والعمل ، أما أن يترك العمل ويقول إنه يرجو فهو مغرور ومذموم .

ترجو النجاة ولم تسلك سالكها إن السفينة لا تجرى على اليبس

إن الله تعالى أثنى على زكريا وأهله فقال (إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين) فتأمل .

وقول سيد الخلق على الإطلاق ﷺ «فوالله إنى لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية» (١) .

وقال (أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له(٢)) فكلما زاد علم الانسان زاد خوفه من الله قال تعالى(انما يخشى الله من عباده العلماء) وكلما ازداد جهل الإنسان زادت جرأته على الله فما أعظم العلم المؤدى إلى خشية الله وما أقبح الجهل ولا يرضى به إلا مخذول فعليكم بالعلم والعمل ولا خير فى علم من غير عمل .

قال رسولنا الكريم ﷺ (اللهم أنى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها(٣)) .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الأدب باب من لم يواجه الناس بالعتاب
(٢) رواه البخارى فى كتاب النكاح الترغيب فى النكاح
(٣) رواه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء باب التعوذ من شرما عمل

قال شيخنا (واذكر وفكر وراقب واسم واحتشم) الله أكبر ما هذه الدرر للغالية والحكم السامية إنها نظم شيخنا الخطيب وثمرة من حبسه البالغ للحبيب ﷺ وكل كلمة منها تحتاج كراسة وحدها حث على الذكر والفكر والمراقبة والسمو والإحتشام .

أما الذكر فالكلام فيه لا نهاية له كما أن أنوار الذكر لا حدود لها وهو العمدة فى الطريق إلى الله وكل القرآن يحث عليه ويهيج اليه ويرغب فيه ويكفى قوله تعالى (فاذكرونى أذكركم) وقوله تعالى (ولذكر الله أكبر) وقوله تعالى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) إلى غير ذلك من آيات القرآن التى من سمعها ولم يشتغل بذكر الله فهو كالبهيمة وفى الضلال يهيم .

وأما الأحاديث الشريفة فى فضل الذكر فكثيرة جداً .

ويكفينا قوله ﷺ لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس) رواه مسلم ، الله أكبر تنبه ياغافل قبل أن تبكى بدل الدموع الدم على ضياع الوقت فى الغفلات وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه : « لا يبلغ الإنسان حقيقة الإيمان حتى تكون التسبيحة الواحدة أحب إليه من الدنيا جميعاً » تأمل يا مغرور ولا تركن لدنيا لا تساوى تسبيحة واحدة وأخرس لسانك عن القيل والقال واشغله بذكر الكبير المتعال تبلغ غاية الآمال وقل دائماً كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك(١) وماذا نقول فى الذكر إنه بحر عميق لا قرار له فلا تشبع منه ولا تمل وهو أنواع قرآن وتهليل وتسبح وتكبير وصلاة وسلام على سيد الأنام ﷺ هنا النعيم هنا الشرف هنا الغنى ، ولذة الذكر فوق لذة الملوك بملكهم قال شيخنا فى ذلك .

---

(١) رواه ابوداود كتاب الصلاة باب فى الاستغفار . النسائى كتاب الصلاة باب نوع آخر من الدعاء بعد الذكر

وأدم ذكره على كل حال إنما ذكره طريق الفتوح
لذة الذكر لو وقفت عليها قات من لى بها بأهلى وروحى

وأما الفكر ، فهو أسمى الذكر والذكر باللسان مع غفلة القلب قليل الفائدة والفكر مع سكوت اللسان ذكر فإذا جمعت بين ذكر اللسان والتفكير بالجنان نلت من الله الرضوان قال تعالى (ورضوان من الله أكبر) والذكر والفكر يوصلانك إلى مراقبة الله تعالى فى كل شىء وهنا يسمو قدرك ويعلو شأنك وتذكر فى الملأ الأعلى وتشتاق إليك الجنة ويستغفر لك الطير فى الهواء والحيتان فى الماء وتغنى غنى لا فقر بعده فأدرك نفسك قبل أن يفجأك الموت .

قال تعالى فى وصف أولى الألباب (ويتفكرون فى خلق السموات والأرض) وصلاة ركعتين فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه وما دام التفكر فراقبة الله حاصلة وما دامت المراقبة من العبد فهو فى سمو وعلو ورفعة لا تخطر ببال وتعجب لفضل الله على شيخنا الخطيب زاده الله فضلا كأن كلامه وحى (وراقب واسم) إذ من راقب الله فهو فى أعلى عليين ومن لم يراقب الله فهو فى أسفل سافلين قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) . سورة الحشر

وقال تعالى (واعلَمُوا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه) .

وسمو المؤمن ترفعه عن الدنايا والرذائل وتحليه بالمكارم والفضائل .

وقول شيخنا (واحتشم) والاحتشام هو الاستحياء ، والحياء خير كله ومن لا حياء فيه لا خير فيه وهو ثمرة المراقبة أيضاً .

وفى الحديث الشريف (الحياء والإيمان قرناء جميعاً فإذا ذهب أحدهما ذهب الآخر)(١)وكان رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها .

---

(١) البيهقى وابو نعيم فى الحلية والحاكم

وقال عن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه (أفلا أستحى من رجل والله إن الملائكة لتستحى منه) كان سيدنا عثمان شديد الحياء فاستحى منه رسول الله ﷺ واستحت منه الملائكة .

(البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تدان[1]) .

اللهم ارزقنا مراقبتك والحياء منك حتى لا تخطر المعاصى على بالنا ياذا الجلال والإكرام .

قال شيخنا :

وخل نفسك واصدق فى معاملة وارحل إليه تنل خيراً وتغتنم

كم فى هذا البيت من فوائد عظيمة وتنبيهات كريمة فقوله (وخل نفسك) اترك هواها وأذلها لمولاها فهى أعظم حجاب بين العبد وربه فيجب مجاهدتها فى العبادات وترك الشهوات وعدم الرضا عنها إلى الممات .

وقد قالوا من ظن أنه بغير بذل الجهد فى العبادات يبلغ شيئاً من الدرجات فقد رام المحال .

وفى الحديث «المجاهد من جاهد نفسه فى الله عز وجل[2]»قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) وقال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى) ، حكى عن أبى يزيد أنه قال رأيت رب العزة فى المنام فقلت يارب كيف الطريق اليك ؟ فقال خل نفسك وتعال .

وقوله (واصدق فى معاملة) فإن الصادق مع الله ينال فى لحظة مالا ينال غيره فى مائة عام والصدق مع الله هو كل شىء قال تعالى (فلو صدقوا الله

---

(١) مصنف عبد الرازاق . مرسلا

(٢) رواه الترمذى وابن حبان

لكان خيراً لهم) وقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) والصادق مع الله هو الذى يعبده لا لعلة ولا لغرض وإنما يعبده تعظيما لجلاله ولا يصرفه عن عبادته شيء مهما كان من جاه أو مال أو فقر وعيال فهو يجعل طعامه الجوع وحديثه المناجاة فإما أن يموت وإما أن يصل إلى الله فما أحسن الصدق فى الأقوال والأفعال .

الصدق فى أقوالنا أقوى لنا والكذب فى أفعالنا أفعى لنا

اللهم اجعلنا من الصادقين يارب العالمين .

وقول شيخنا (وارحل اليه تنل خيراً وتغتنم) والرحلة إليه بقطع عقبات النفس ومخالفة الشهوات والجد فى جميع الأوقات وبذل الجهد فى العبادات والقصد اليه وحده قال تعالى (وإلى ربك فارغب) ولله در العارف بالله إبن عطاء الله وهو يقول : لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحا يسير والمكان الذى ارتحل إليه هو الذى ارتحل منه ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون (وأن إلى ربك المنتهى) .

وتأمل قول سيدى ابن عطاء الله أيضاً وهو يناجى ربه قائلا (إلهى ماذا وجد من فقدك وما الذى فقد من وجدك وقال سيدى أبو مدين .

الله قل وذر الوجود وماحوى إن كنت مرتادا بلوغ كمال

فالكل دون الله إن حققته عدم على التفصيل والإجمال

فالرحيل إلى الله هو الخير كله وأعظم غنيمة فى الوجود .

اللهم اجمع قلوبنا عليك وطهرها من التعلق بسواك يارب .

قال شيخنا رضى الله عنه :

(وخل همك وجه الله منفرداً تكف الهموم وتبلغ قمة القمم)

إن هذا البيت يعمل فى القلوب المؤمنة عمل السحر أى يجذبها إلى الله

والى رفع الهمة عما سواه فإذا جعلت همك وجه الله وحده كفاك كل الهموم وبلغك أعلى القمم وأرفع الدرجات .

الله ربى لا أريد سواه هل فى الوجود حقيقة إلا هو

قال تعالى :

(هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) .

وتأمل ما فى الحديث الصحيح ، (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)(١) .

وفى الحديث القدسى عن الله عز وجل (ياابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك) رواه الترمذى وغيره .

قال شيخنا :

(واعبده بالعلم والإخلاص إنهما روح العبادة من فعل ومن كلم)

جزى الله عنا شيخنا أحسن الجزاء بعدما وجهنا إلى الله وهيجنا على عبادته ذكر فى هذا البيت العظيم شرطين عظيمين لاتقبل العبادة بدونهما أو بدون واحد منهما وهما العلم والإخلاص . فبالعلم تعرف كيف تعبد الله على هدى رسول الله ﷺ والإخلاص وهو أن يقصد بالعمل وجه الله وحده بدون أدنى لتفات إلى سواه هو روح العبادات ولا وزن لأى عبادة بدونه .

فتأمل هذين الشرطين وهما أن يكون العمل على وفق السنة وأن يقصد به وجه الله وحده ولا بد من اجتماع الشرطين . فلا ينفع الإخلاص بدون موافقة السنة . ولا موافقة السنة بدون إخلاص

---

(١) متفق عليه

اللهم وفقنا لاتباع النبي ﷺ قولا وفعلا مع الإخلاص لوجهك الكريم ياغني يا كريم

قال شيخنا :

(وفيه جاهد تشاهد ماأعد لمن — في الله قد جاهدوا من فضل ربهم)

وفي هذا البيت يحثنا شيخنا على المجاهدة في الله . قال تعالى :(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)

وقد جرت سنة الله تعالى على أن يكون منال الإنسان بقدر جهاده وأن تكون منزلته عند الله بقدر تضحيته في سبيله وتحمله من أجله ولو كان الشيء الغالي ينال بدون تعب لتساوى التبر والتراب واختلت القيم ولكن

(على قدر أهل العزم تأتي العزائم — وتأتي على قدر الكرام المكارم)

وفي الحديث القدسي الذي رواه البخاري (وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه) استعاذني روى بالنون والباء .

وكان ﷺ يقوم من الليل حتى تورمت قدماه وكان لا ينام قلبه وإن نامت عيناه وكان سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يشم من فيه رائحة الكبد المشوي من مخافة الله وكان سيدنا عمر لا يستريح ليلا ولا نهارا ويقول أنا إن نمت بالليل أضعت نفسي وإن نمت بالنهار أضعت الرعية فكان لا ينام ليلا ولا نهاراً إلا لحظات أو خفقات . وكان سيدنا عثمان يقرأ القرآن في صلاة الليل . والإمام علي يقوم في الظلام والناس نيام ويبكي ويقول يادنيا غري غيري قد طلقتك ثلاثا فعمرك قصير وخطرك حقير آه من قلة الزاد وبعد السفر . وكان سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله

عنه إذا غلبه النوم يقوم ويجول فى صحن داره وهو يقول :

وكيف تنام العين وهى قريرة ولم تدر فى أى المحلين تنزل

وكان يجمع الفقهاء والقراء فى الليل يتذاكرون الموت ويبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة . وذكروا عن الإمام أبى حنيفة أنه صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة . والإمام أحمد كان يصلى فى كل ليله ثلاثمائة ركعة . والإمام الشافعى يقسم الليـــل أثلاثا ثلثا للعلم وثلثا للنوم وثلثا للصلاة . وكان الإمام مالك آية فى الاجتهاد وكثيرا ما كان يرى رسول الله ﷺ كل ليلة فى المنام رضى الله عنهم أجمعين .

فإن أردت أن تنال مثل ما نالوا فجاهد مثل ما جاهدوا .

ولعله قد وضح قول شيخنا رضى الله عنه :

(وفيه جاهد تشاهد ما أعد لمن

فى الله قد جاهدوا من فضل ربهم)

قال شيخنا بعد ذلك فى قصيدته الميمونة التى أكتب حولها :

(وخالف النفس واحذر مكرها أبداً

فقد تدس وحى السم فى الدسـم)

وفى هذا البيت يرشدنا شيخنا إلى مخالفة النفس والحذر من مكرها فقد تدس أى تخفى وحى أى سريع الموت من السم فى الدسم أى السمين من الطعام ، فلو قدم طعام شهى وفيه سم خفى لإنسان جاهل بدس هذا السم فيه لبادر إلى تناوله ولهلك ، وأما العالم بذلك فإنه لا يتناوله وبذلك يسلم ويغنم . فالعالم بآفات النفس يخالفها ولا يوافقها ويجاهدها ولا يهادنها وبذلك يسعد سعادة لا تخطر ببال .

والجاهل يتبع نفسه وهواه فيخسر دنياه وأخراه خسارة لا تتحملها الجبـــال .

فتأمل مثلا الذين يطيعون أنفسهم فى لذة النوم ويتركون صلاة الفجر كم يحرمون من عظيم الأجر وهذا من جهلهم وغباوتهم . شىء يرغب الله فيه ورسوله صلى الله عليه وسلم ينامون عنه ويزهدون فيه مع أنهم يتهافتون على النجاسات ويتكالبون على القذارات . كما يتهافت الذباب على الجيفة وتأمل كلام الحق جل جلاله (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً) وقرآن الفجر أى صلاة الفجر (كان مشهوداً) أى تشهده الملائكة وتحضره.

وقال رسول الله ﷺ (ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها) رواه مسلم وهذا فى ركعتى السنة فما بالكم بالفرض . فيا أيها الناس فكروا ولا تلغوا عقولكم إن كنتم مؤمنين . ولو عرفت أنك لو قمت لصلاة الفجر أخذت عشرين جنيها مثلا ما تكاسلت عنها . فهل هناك غباوة بعد هذه الغباوة . وتأمل يا أخى ما فى صحيح البخارى (ولو يعلمون ما فى العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا) والعتمة صلاة العشاء . يدل ذلك على أن الذين ينامون عن صلاة الفجر جهلة ولو كانوا فى صورة علماء لأن العلم ليس بكثرة الرواية والحفظ ولكن العلم نور يضعه الله فى قلب من أحب من عباده كما قال الامام مالك رضى الله عنه فهنيئا لمن حافظ على الصلوات الخمس فى أوقاتها واهتم كل الاهتمام بها وصلى العشاء جماعة والفجر جماعة وكان السلف الصالح يعزون أنفسهم بفوات تكبيرة الإحرام مع الإمام ثلاثة أيام ويقولون فى التعزية (ليس المصاب من فقد الأحباب إنما المصاب من حرم الثواب) .

وتأمل أيضا الذين يطيعون أنفسهم ويشربون الدخان والحشيش والبوظة والخمور ويأكلون الربا ويشهدون الزور ويسمعون الأغانى ويعرضون عن القرآن ويسمرون فى الغفلات وينامون عن الصلوات وكم رأيت بعينى أوباشا من الناس على مقهى أمام مسجد والقرآن يقرأ والآذان يعلن وهم يلعبون الضمن والطاولة وكم نبهتهم وكأنهم أموات .

لقد أسمعت إذ ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادى

قال كعب الأحبار والله إنى لأجد صفة المنافقين فى كتاب الله عز وجل شرابين للقهوات تراكين للصلوات لعابين بالكعبات رقادين عن العتمات مفرطين فى الغدوات تراكين للجماعات . وتأمل أيضا النسوة والبنات اللاتى أطعن أنفسهن فخلعن برقع الحياء وخرجن فى الشوارع والنوادى متزينات متكشفات كأنهن يهوديات ولسن بمسلمات فعليهن اللعنات وعلى آبائهن وأزواجهن الذين يرضون بهذه المنكرات .

ولو وجد الرجال بمعنى الكلمة لما كانت هذه الموبقات . فالرجل ليس رجلا بقوة عضلاته وشاربه ولكن بهمته وغيرته والمؤمن غيور يخشى غضب الجبار ، قبح الله من لا يغار . كل هذه المنكرات وأكثر وأكثر بسبب طاعة النفس قال تعالى (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) .

زكاها : أدبها وهذبها وخالفها وأوقفها عند حدود الله ،

ودساها : نقصها وتركها فى عيوبها ودناءتها ،

وكان رسولنا الكريم أطهر العالمين نفساً صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول :

اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها (١)

ولعله قد وضح قول شيخنا :

(وخالف النفس واحذر مكرها أبداً

فقد تدس وحىَّ السم فى الدسم

بعد ذلك قال شيخنا :

(وأعطها حظها المشروع تقو به

على المسير وإن تحسمه تنحسم)

---

(١) رواه مسلم

وأقول أن شيخنا العظيم وإمامنا الكريم بعد ما أمرنا بمخالفة النفس والحذر من مكرها أرشدنا إلى إعطاء النفس حظها ولعله يريد حقها، بدليل قوله المشروع : وللنفس حق فمن منعها حقها فقد ظلمها.

وما أشنع الظلم عموما كما فى الحديث (إتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) رواه مسلم .

وعن أبى جحيفة وهب بن عبد الله رضى الله عنه قال : آخى النبى ﷺ بين سلمان وأبى الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما فقال له كل فإنى صائم قال : ما أنا بآكل حتى تأكل فأكل فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له : نم فنام ثم ذهب يقوم فقال له : نم فلما كان آخر الليل قال سلمان قم الآن فصليا جميعاً فقال له سلمان : إن لربك عليك حقاً وإن لنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له فقال النبى ﷺ صدق سلمان رواه البخارى .

ولسان حال النفس يقول كن معى فى بعض أغراضى وإلا صرعتك ، ومعروف أنها الأغراض الشرعية ، واعتبر النفس كالدابه التى تسافر عليها إلى المطلوب فإن أجهدتها فوق استطاعتها ومنعتها حقها من الراحة والطعام والشراب انقطعت بك وإن أرحتها فى بعض المواطن وأعطيتها ماتقوى به على المسير وصلت بك إلى مطلوبك فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى وهذا ما يفيده شيخنا بقوله (وإن تحسمه تنحسم) أى إن قطعت حقها عنها تنقطع عن السير وليكن ذلك الحق بقدر الحاجة أو الضرورة كما سبق فى فضل الجوع لأن اتباع الشهوات مصيبة المصيبات .

قال بعض العارفين من المحال أن تجد لذة الطاعات وأنت تتناول الشهوات .

وحقق الشيخ أبو حامد الغزالى بأن الطريق إلى الله هو ترك الشهوات وقالوا من صدق الله فى تركه الشهوات خدمته الأكوان فى الحياة والممات ولاشك أن الأكوان لاتخدم فى الحياة والممات إلا من كان وليا لله عالم الخفيات .

وقد اتفق أرباب الطريق على أن الفقير إذا كان محبا للشهوات لايجىء منه شىء لأن المريد الشهوانى أبداً يركن إلى الفانى والراكن إلى الفانى لا يصل أبداً إلى الباقى ولا زال السلف والخلف يحذرون المريد من الشهوات خشية الوقوع فى البليات الموجبة للغفلات ، أوحى الله إلى داود عليه السلام وقال له حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عنى محجوبة .

وقد قيل إن الشهوة زمام الشيطان من أخذها كان عبده ومن أراد صفوة قلبه فليؤثر الله على شهوته وقد تقرر عند الفضلاء من أهل الطريق أن مازاد على الخبز فهو شهوة .

اللهم انزع من قلوبنا حب الشهوات واملأها بحبك وذكرك ياذا الجلال والإكرام . اللهم آمين .

وأرجو أن يكون قد وضح قول شيخنا :

وأعطها حظها المشروع تقو به
على المسير وإن تحسمه تنحسم

بعد ذلك قال رضى الله عنه :

وصم عن الكون حبا فى مكونه واستغفرنّه وفى مشروعه أقم
واقطع نهارك بالتقوى وقم سحراً
فكم لربك فى الأسحار من كرم
نادى وقد نزل الدنيا بلاشبه
سبحانه عن صفات الخلق كلهم

يا راغباً نعمى يا راهباً نقمى   يا سائلا كرمى ينهل كالديم
إلى ولِّ وعن غيرى تولَّهْ وكن
عبدى أصير لك الدنيا من الخـدم

الله أكبر سبحان من أعطى شيخنا هذا البيان حقاً (إن من الشعر حكمة »(١) و « وإن من البيان لسحراً) ذكرت هذه الأبيات مجتمعة لارتباطها البديع وسيرها السريع إلى القلوب لتجذبها إلى علام الغيوب .

فجزى الله عنا شيخنا أحسن الجزاء اسمع قوله :

« واقطع نهارك بالتقوى وقم سحراً تجد نفسك تمايلت طربا .

وقل للأغبياء المفتونين بسماع الأغانى والألحـان تعالوا إسمعوا هذا البيان :

وصم عن الـكون حبا فى مكونه   واستغفرنه وفى مشروعه أقم

أى أمسك عن الـكون ولا تتعلق به فهو لاشىء اشتغالا بحب مكونه فحب الله ينسى ماسواه قال تعالى (كل شىء هالك إلا وجهه) وقال رسول الله ﷺ أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد :

« ألا كل شىء ماخلا الله باطل »(٢)

وقال أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه : إننا لننظر إلى الله ببصر الإيمان والإيقان فأغنانا ذلك عن الدليل والبرهان ونستدل به على الخلق هل فى الوجود شىء سوى الواحد الحق فلا نراهم وإن كان ولابد فنراهم كالهباء فى الهواء إن فتشتهم لم تجدهم شيئا ويعجبنى قول سيدى ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه (أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون فإذا شهدته كانت

---

(١) البخارى كتاب الأدب باب مايجوز من الشعر والترمذى وعند أبى داود « أن من البيان سحرا وان من الشعر حكما » . وهو مرفوع فيهما

(٢) البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه

الأكوان معك (ونفهم من ذلك أنك إذا تعلقت بالأكوان ورغبت فيها أذلتك واستعصت عليك وشغلتك عما يجب عليك وهي فانية :

وتأبى الهمة العالية أن تركن إلى الفاني . أما إذا تعلقت بالله وأعرضت

عما سواه فقد أغناك عما سواه وكانت الأشياء هي التي تطلبك وتتذلل لك وأنت في غنى عنها بخالقها ولله در من قال منذ صرفنا همنا إلى الله أغنانا عما سواه .

وقال آخر إلزم بابا واحدا لا لتفتح لك الأبواب تُفتحُ لك الأبواب واخضع لسيد واحد لا لتخضع لك الرقاب تخضعْ لك الرقاب وقول شيخنا (استغفرنه) أي اطلب منه المغفرة مهما كنت مجتهدا في العبادة وأكثر من الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار قال تعالى : (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) .

وقال رسول الله ﷺ (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)(١) والكلام في الإستغفار كثير فأكثر منه .

وقول شيخنا (وفي مشروعه أقم) أي ألزم الشرع الشريف وتمسك به ولا تخرج عنه قال تعالى (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين) .

وفي الحديث (من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فَلَهُ أجر مائة شهيد)(٢) وشيخنا شديد التمسك بالكتاب والسنة ويحث على ذلك ويكره شطحات بعض الصوفية الخارجة عن السنة قال : (واقطع نهارك) إقض نهارك كله وأنت ملتزم بتقوى الله في حركاتك وسكناتك وبيعك وشرائك ، حتى

---

(١) رواه البخاري

(٢) رواه البيهقي . وهو عند الطبراني في الأوسط بلفظ « التمسك » وبدون « مائة »

لا تجنح إلى معصية ولا تسترخى إلى شهوة فإن فعلت ذلك أكرمك الله بقيام الليل. شكى بعض التلامذة إلى شيخه أنه يكسل عن قيام الليل فقال: لا تعص ربك بالنهار وهو يقيمك بين يديه بالليل، وهذا حق لأن الطاعة تجر إلى الطاعة والمعصية تجر إلى المعصية وبعض الصالحين فاتته صلاة الفجر يوما فبكى وقال لا بد أنى عصيت الله فحرمنى من صلاة الفجر ونوى الصيام وحرم نفسه من الطعام حيث لم تسعفه فى القيام لطاعة الملك العلام والغبى الجهول يقوم من النوم بعد طوع الشمس فيتناول الشهوات ويضحك ويفرح كأنه لم يفته شىء ولا نعجب فإن المجنون يرمى الجواهر على المزابل والمرأة المجنونة يموت وحيدها وهى تضحك وموت الأولاد وذهاب المال أهون من فوات الصلاة .

وفى الحديث «من فاتته الصلاة فكأنما وتر أهله وماله»(١) والمقطوع عن ربه مصاب بأكبر المصائب فكيف يفرح ويمرح ولا يبكى على مصيبته .

أما القيام فى الأسحار فهو دأب المتقين الأخيار

ولا يتهاون به إلا حمار ، ففى صحيح البخارى عن النبى ﷺ قال (أما يخشى أحدكم أو ألا يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار) قيل يمسخ حماراً وقيل المسخ معنوى فيكون بليداً كالحمار وهذا فيمن يصلى ولكنه يستعجل وراء الإمام ويخالف النظام فما بالكم يا كرام بتارك الصلاة أعوذ بالله إن الحمار أحسن منه .

وقد روى فى الحديث (فرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكراً لله منه) رواه الإمام أحمد .

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه وهو عند البخارى ومسلم بلفظ «الذى تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله»

وأول الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل فقال لهم « اركبوها سالمة ودعوها سالمة ولا تتخذوها كراسى لحديثكم فى الطرق والأسواق فرب مركوبة » الحديث فتأمل إن كنت عاقلا والغافل عن ذكر الله لا يساوى الضفادع ففى سنن النسائى عن عبدالله بن عمر قال : نهى رسول الله ﷺ عن قتل الضفدع وقال : « نقيقها تسبيح » فافهم وتأمل قول شيخنا .

« وقم سحرا فكم لربك فى الأسحار من كرم »

والسحر هو الجزء الأخير من الليل ينام فيه المحرومون ويستيقظ فيه الموفقون وما أحسن الاستغفار بالأسحار وأقرأ قول الله تعالى من سورة آل عمران من قوله جل جلاله (زين للناس حب الشهوات) إلى قوله (والمستغفرين بالأسحار) .

أقرأ وفكر يامن آمنت بالقرآن وللقيام بالأسحار أثر عظيم فى القلوب يطهرها ويزيل قساوتها التى هى أعظم الذنوب ولله در من قال :

دواء قلبك خمس عند قسوته ... فدم عليها تفز بالخير والظَّفَرِ
إخلاء بطن وقرآنٌ تَدَبَّرُهُ ... كذا تضرع باك ساعة السحر
كذا قيامُك جنح الليل أوسَطَهُ ... وأن تجالس أهل الخير والخبر

فالعجب لجهل الإنسان عندما يصاب بأدنى مرض فى جسده يسرع إلى الطبيب ويبذل له المال ويشكره ، وهو مصاب بأكبر الأمراض فى قلبه وهو لا يشعر بذلك بل يعمل على زيادة مرضه مع أن مرض القلوب أضر ألف مرة من مرض الأجساد فإن كان مرض الجسد تفقد به لذة الدنيا الفانية فإن مرض القلوب تفقد به حلاوة الإيمان ويبعدك عن علام الغيوب فهو أعظم المصائب وأكبر الذنوب قال تعالى (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) (١) .

---

(١) الآية ١٠ من سورة البقره

وقال تعالى (فيطمع الذى فى قلبه مرض)(١) فصاحب الجسم الضخم مع القلب المريض بحب الدنيا رمة من الرمم ولا يبالى الله به لأن القلوب هى موضع نظر علام الغيوب فكيف تحسِّنُ موضعَ نظر الناس وتهمل موضع نظر الرب جل جلاله ، فإذا سئلت يوم القيامة من قبل الحق جل جلاله وقال لك عبـــدى طهرت منظر الخلق سنين فهل طهرت منظرى ساعة ؟ وما وزنك لو عظمت فى نظر النساء والجهلة وسقطت من نظر الله تعالى إن رضيت بذلك كنت من أخس الأخساء فاحرص أن تكون وجيها عند الله تعالى وذلك بسلامة قلبك قال تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم)(٢) .

ومن حكم شيخنا الخطيب :

إن الوجاهة لاتكون وجاهةً ما لم تكن عند الذى أنشاكا

فالمؤمنون الصادقون يهتمون كل الاهتمام بقلوبهم لأنها موضع نظر ربهم ويعملون على مايحييها ويبتعدون عما يميتها .

والذى يحييها الطاعة لله وكثرة ذكره ويميتها المعصية والغفلة عن ذكره وفى الحديث الشريف « مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره مثل الحى والميت » (٣)

وقد ذكر شيخنا الخطيب بعض الأشياء التى تميت القلوب وذكر علامة موته فى قوله :

---

(١) الآية ٣٢ من سورة الأحزاب

(٢) الآية (٨٧ — ٨٩) من سورة الشعراء

(٣) رواه البخارى. وهو عند البخارى ومسلم بلفظ «مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لا يذكر الله فيه مثل الحى والميت »

يميت الفؤاد الحى دائم خلطة لآثى وعصيان وحمق ومترف
وما موته إلا ذهاب تأثر بإهمال مفروض وإتيان متلف

فافهم وابتعد عن كل شيء يفسد القلوب واحرص على كل شيء يصلحها ومن أهم ما يصلح القلوب القيام بالأسحار ونعود إلى قصيدة شيخنا :

(وقم سحرا فكم لربك فى الاسحار من كرم)

وتأمل قوله بعد ذلك :

نادى وقد نزل الدنيا بلا شبه
سبحانه عن صفات الخلق كلهم

يشير شيخنا إلى الحديث العظيم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا عز وجل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له» رواه الجماعة . قل لى بربك أى عقل كريم يرضى أن يحرم نفسه من هذا الخير العظيم وينام كأنه بهيمة . ولما كان نزول ربنا فى الحديث نزولا يليق بجلالة منزها عن الحركة والانتقال والجسمية والمكانية قال : بلا شبه ، وسئل عنه الإمام مالك رضى الله عنه فقال هو نزول رحمة لا نزول نقلة لأن الله ليس كمثله شيء قال شيخنا (بلا شبه سبحانه) ولعل بيته من القصيدة المباركة قد وضح وهو :

نادى وقد نزل الدنيا بلا شبه
سبحانه عن صفات الخلق كلهم

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . آمنت بما جاء فى كتاب الله على مراد الله وآمنت بما جاء فى كلام رسول الله ﷺ على مراد رسول الله ﷺ كما قال إمامنا الشافعى رضى الله عنه .

تعالوا بنا إلى كلام شيخنا لنغترف من بحار علمه وحكمته زاده الله علما وحكمة قال :

يا راغبا نعمى يا راهبا نقمى
يا سائلا كرمى ينهل كالديم

يامن ترغب نعم الله وتخاف نقمه وبلاءه وتسأله كرمه في وقت السحر الذى ينصب عليك كالديم أى المطر الكثير المتتابع فكرم الله وعطاؤه فى وقت السحر لاحدود له .

ياغافلا أدركه الموت إن لم تبادر فهو الفوت

واسمع قول شيخنا بعد هذا عن نداء ربنا فى وقت السحر :

إلىَّ ولِّ وعن غيرى تولَّ وكن
عبدى أُصير لك الدنيا من الخدم

« إلى ول » أى أقبل على وعن غيرى تول أى أعرض وكن عبدى

ومعنى هذا أنك إن أقبلت على الله وأعرضت عما سواه وكنت صادقا فى العبودية له جعل الدنيا فى خدمتك ولكن لا تقصد بعبوديتك أن تكون الدنيا فى خدمتك لأن مطلب العارفين من ربهم إنما هو الصدق فى العبودية والقيام بحقوق الربوبية فقط من غير مراعاة حظ ولابقاء مع نفس قال سيدى أبو مدين رضى الله عنه « شتان بين من همته الحور والقصور وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور » ومن دعاء سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه « اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا فكل عز يمنع دونك فنسألك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك وكل وجد يحجب عنك فنسألك عوضه

فقدا تصحبه أنوار محبتك فإنه قد ظهرت السعادة على من أحببتَه وظهرت الشقاوة على من غيرُك ملكه فهب لنا من مواهب السعداء واعصمنا من موارد الأشقياء

وفى هذا المعنى قال شيخنا بعد ذلك :.

وابذل لى النفس والدارين كلهما
وما هويت تكن عبدى على قدم

أى ابذل نفسك والدنيا والآخرة وهواك فى طلب مولاك تكن على قدم العبوديه لله وهى أشرف مطلب وأعلى منال ولشيخنا فى ذلك قصيدة أخرى اسمها الربوبية والعبودية الخالصة وجزاؤها وهى آية فى الإبداع تشنف الاسماع وتسكر القلوب بحب علام الغيوب ومطلعها .

أخلص هوى الذات الكريمة إنها
لجلالها لا تقبل الإشراكا
واخضع لها كل الخضوع تقربا
واجعل لها الفعلَ الجميل شِراكا
أبدِ الرضا مهما رَمتْك بسهمها
وكأن مُرَّ بلائها حلواكا
وابذل لها الدنيا ونفسك والهوى
مستصغرا تلك الثلاثَ عساكا
مهما جفتك فقف على عتباتها
مترامياً ذلا عسى ترضاكا
طِعْ أمرَها رُم برَّها خَف مكرَها
صُن سرَّها قدِّم لها أخراكا
كن عبدَها قف عندَها صن عهدَها
خف ردَّها وارفُض لذيذ كَراكا

سبحان الله أردت أن اكتب بيتا أو بيتين فإذا بحلاوتها تجذبنى حتى كتبت هذه الأبيات السبعة من أولها رجاء أن ينجينا الله من أبواب جهنم السبعه وآخر هذه القصيدة أحلى من أولها وكل بيت منها يجذبك للذى بعده فإذا أردتها كلها فهى فى بشرى العاشقين لشيخنا رضى الله عنه وفى إتحاف الأخيار أيضاً الطبعة الأخيرة فاحفظها وذكر بها نفسك وشوقها وهيجها إلى الذات العلية القدسية .

يارب اجذبنا إليك وحققنا بصدق العبودية بين يديك اللهم آمين وتعالوا بنا يا أحباب إلى قول شيخنا منها إلى فضل نبينا ﷺ .

وأحمد لأحمد من مد الوجودَ ومن
عليه فضلى غدا فى غايةِ العظم

بعد ماوجهنا شيخنا إلى ربنا ووصف لنا الطريق إليه أبلغ وصف شرع يعرفنا بفضل نبينا ﷺ فقال (واحمد لأحمد) أى امدحه وأثن عليه والحمد أبلغ من الشكر ولشيخنا فى مدح نبينا ﷺ مدائح كريمة وقصائد عظيمة تدهش العقول وتزيد قلوب المؤمنين محبة للرسول ﷺ ولم أر فى زماننا من بلغ فى مدح نبينا ﷺ ما بلغه شيخنا واقرأ الروضات والرباعيات له تَهِم فى حب سيدِ الكائنات ﷺ ، وقصيدة نفحة القبول فى مدح الرسول ﷺ التى أولها (أمير الأنبياء لزمت بابك) آية من آيات الله فى الحسن والترتيب وهى مرتبة على حسب الحروف الأبجدية فاحفظها يامن تريد المراتب العلية ومثلها فى الحسن أو تزيد قصيدة روضة المحبين فى مدح سيد المرسلين ﷺ وغيرها وغيرها مما فتح الله به على شيخنا رضى الله عنه ولذلك سمى نفسه شاعرَ النبى ﷺ وقال :

شعرى عليك وقفت يا علم الهدى
فـــله بعزك عزة الأطوادِ

وقال أيضاً :

مدحته بل به مدحي مدحتُ ومن
يمدح إمام الورى يُفلحّ ويغْتَنِمِ
وليس لى مأربٌ إلا شـفاعته
وأن أرى جارَه فى ساحة الكرم
وطالما نال بالأمداح مادحُـه
وصلا بغـير مديح فيه لم يُرَمِ

وحقا نال شيخنا وصلا عظيما من رسول الله ﷺ فكم رآه فى المنام حتى فى صباه وقال :

(وكم أرانيه جل الله فى الحلم). ورغب فيما هو أكثر من ذلك .

وقال :

منى نفسى أيا خـير الأنام
أراك بيقظتى مثـل المنام
فسل مولاك يا نور الظـلام
يؤهلنى لشامخ ذا المقام

وكم رأينا من العلامات الدالة على أنه بلغ ذلك المقام بلغه الله أعلى مقام وزاد به نفع الإسـلام وجزاه الله عنا أحسن الجزاء وأجل العطـاء. اللهم آمين .

وأحمد اسم من أسماء نبينا العظيم ومعناه أنه أحمد الحامدين لله أى أكثرهم حمداً لله وأسبقهم أيضاً إلى حمد الله وهو مذكور فى القرآن الكريم وفى الكتب السابقة قال تعالى حاكيا عن سيدنا عيسى عليه السلام:(ومبشراً

برسول يأتى من بعدى أسمه أحمد)(١) ، وكذلك بشرت به الكتب المنزلة كلها قال شيخنا :

ما من كتاب منزل إلا به
بشرى الوجود بأحمد الحمادِ

واسمه أيضا محمد ﷺ ومعناه المحمود حمداً متكرراً وقال ﷺ (إن لى أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب والعاقب الذى ليس بعده نبى) رواه البخارى ومسلم وأسماؤه ﷺ كثيرة وكثرة الأسماء تدل على عظم المسمى وكلها أوصاف تدل على مدحه وفضله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه .

قال الحافظ السيوطى : ألفت كتابا فى شرح أسمائه الكريمة أوردت فيها ثلثمائة وأربعين اسما مأخوذة من القرآن والأحاديث والكتب القديمة وأوصلها بعضهم إلى ألف اسم وقد خصه الله تعالى بأن سماه من أسمائه الحسنى بنحو من ثلاثين أسما بعد ذلك قال شيخنا رضى الله عنه:

واشكره إذ نعمى الكبرى على يده
سرت إليك وإن تشكر له تدمِ

أى اشكر رسول الله ﷺ بعد شكر الله جلا جلاله لأن الله أمرنا أن نشكر من كان سبباً فى نفعنا قال تعالى:

(أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير)(٢) وفى الحديث (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) رواه الترمذى وحسنه ، والمقصود (الناس) المحسنين.

---

(١) الآية ٦ من سورة الصف .

(٢) سورة لقمان آية ١٤

وأهل المروءات فكيف بشكر سيد الكائنات صلوات الله وسلامه عليه وجزاه عنا أفضل ما جزى نبيا عن أمته وقد جعله الله سببا فى كل خير وسعادة قال شيخنا (واشكره إذ نعمى الكبرى) مثل القرآن والإيمان ومعرفة الديان على يده سرت إليك أى وإلى غيرك قال تعالى مخاطبا سيد المرسلين (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)(١) ﷺ قال شيخنا (وإن تشكر له تدم) لأن شكر رسول الله ﷺ شكر لله وطاعته طاعة لله ومحبته محبة لله ومبايعته مبايعة لله قال تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله)(٢) وقال : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله)(٣) وقال:(إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله)(٤) ، وقال تعالى : (لئن شكرتم لأزيدنكم)(٥) فزيادة النعم ودوامها بشكر رسول الله ﷺ وبذلك وضح قول شيخنا وهو أوضح من الشمس :

واشكره إذ نعمى الكبرى على يده
سرت إليك وإن تشكر له تدم

وللعارف بالله سيدى عبد السلام بن بشيش رضى الله عنه صيغة فى الصلاة على رسول الله ﷺ كان سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه يحبها لأنها عظيمة وكريمة وأنا كذلك أحبها وأذكرها بتمامها لمناسبتها لقول شيخنا من قصيدته الميمونة التى أتشرف بالكلام حولها وهذه هى الصيغة العظيمة « اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٧
(٢) سورة النساء (٨٠)
(٣) سورة آل عمران (٣١)
(٤) سورة الفجر (١٠)
(٥) سورة ابراهيم (٧)

وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة ، وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة ، ولا شيء إلا وهو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط : صلاة تليق بك منك إليه كما هو أهله اللهم إنه سرك الجامع الدال عليك وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك اللهم الحقني بنسبه وحققني بحسبه وعرفني إياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل وأكرع بها من مواهب الفضل واحملني على سبيله إلى حضرتك حملا محفوفا بنصرتك واقذف بي على الباطل فأدمغه وزج بي في بحار الأحدية وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي وروحه سر حقيقتي وحقيقته جامع عوالمي بتحقيق الحق الأول يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن اسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك زكريا وانصرني بك لك وأيدني بك لك واجمع بيني وبينك وحل بيني وبين غيرك الله الله الله (إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً) (إن الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) صلوات الله وسلامه وتحيته ورحمته بركاته على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه عدد الشفع والوتر وعدد كلمات ربنا التامات المباركات (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) قال شيخنا رضي الله عنه :

ولا تغرنك الدنيا وبهجتها

فإنها والذى فيها إلى عدم

كأن كلام شيخنا نور من النور لأنه يعبر عن معنى آيات من القرآن الكريم قال تعالى : «يأيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور »(١) .

وقال تعالى : «كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام»(٢) .

وقال تعالى : «من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون. أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون»(٣) .

تأمل هل خرج كلام شيخنا عن معنى هذه الآيات إنها تؤيده وكذلك السنة الكريمة قال رسول الله ﷺ «إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها » متفق عليه .

وقال ﷺ « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء » رواه مسلم وقال أيضاً ﷺ (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة) متفق عليه وغير ذلك كثير وكثير فهل يركن بعد ذلك إلى الدنيا إلا حقير والركون إليها من معنى الغرور بها قال بعض العارفين: من ركن إلى الدنيا صار رمادا تذروه الرياح .

وقال آخر : الدنيا مزبلة ومجمع الكلاب (يقصد الكفار والفجار) وأقل من الكلاب من عكف عليها فإن الكلب يأخذ منها حاجته وينصرف والمحب

---

(١) سورة فاطر ٥

(٢) سورة الرحمن ٣٥—٢٦

(٣) سورة هود ١٥—١٦

لها لا يزايلها بحال . بل يصير متعلقا بها حتى عند موته والعياذ بالله ذكروا عن بعض المشغولين بالدنيا وكان بائعا يصيح فى ســـوقه يا كذا بـكذا مشغولا لا يهدأ ولا يذكر الله ولا يهتم بالصلاة .

فلما كان عند موته لقنه بعضهم الشهادة ليكون آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله فمن كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة كما فى الحديث الصحيح(١) ولكن هذا الرجل صار يموت وهو يقول يا كذا بكذا فما كان غالبا عليه فى حياته غلب عليه عند مماته فاعتبروا يا أولى الأبصار وأكثروا من ذكر الواحد القهار لتموتوا على الإسلام .

قال تعالى : «يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون »(٢) .

قال سيدى إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه نزل بى أضياف فعلمت أنهم أبدال (أولياء) فقلت أوصونى بوصية حتى أخاف الله كخيفتكم فقالوا : نوصيك بسبعة أشياء .

أولها : من كثر كلامه فلا تطمع فى يقظة قلبه .

ثانيها : من كثر كلامه فلا تطمع فى أن تصل إليه الحكمة .

ثالثها : من كثر اختلاطه بالناس فلا تطمع فى نوالة حلاوة العبادة .

رابعها : من أفرط فى حب الدنيا خيف عليه من سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى .

خامسها : من كان جاهلا فلا ترج فيه حياة القلب .

سادسها : من اختار صحبة الظالم فلا ترج فيه استقامة الدين .

---

(١) رواه أبو دواده وأحمد والحاكم

(٢) سورة آل عمران ١٠٢

سابعها : من طلب رضا الناس فقلما ينال رضا الله تعالى عنه .

قال شيخنا بعد ذلك :

هى المتاع قليلا فانيا أبه
تبيع حظك فى الأخرى من النعم

يا أخى ألم تسمع قول الله تعالى : «قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا(١) .

لم يخرج كلام شيخنا عن معنى هذه الآية ألم أقل لك أن كلامه نور من النور وقال تعالى : بالنسبه للآخرة أيضاً مرغبا فيها (وإذا رأيت ثَمَّ رأيت نعيما وملكا كبيراً)(٢) .

الله أكبر تأمل يا من آمنت بالقرآن هل بعد هذا البيان تبيع الآخرة العظيمة الباقية بالدنيا الحقيرة الفانية قال تعالى : (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى)(٣) .

وقد سبق أن ذكرنا قول النبى ﷺ :.«اللهم لاعيش إلا عيش الآخرة» وقال ﷺ » : ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع » رواه مسلم :

إذا وضعت أو غمست أصبعك فى البحر المحيط فما علق به من الماء ما وزنه بالنسبة لهذا البحر الذى لا تدرك له قراراً ولا ترى له شاطئا كذلك ما وزن متع الدنيا ونعيمها بالنسبة لنعيم الآخرة لاشىء والذى يبيع الآخرة بالدنيا مثله كمثل من معه جوهرة عظيمة تساوى الآلاف من الجنيهات .

---

(١) من سورة النساء ٧٧
(٢) الآية ٢٠ من سورة الدهر
(٣) الآية ١٦ — ١٧ من سورة الأعلى

فقال له آخر أتبيع هذه الجوهرة بزبلة فقال نعم ألا يقال إنه مجنون كذلك كل من يشغل بالدنيا عن العمل للآخرة فهو مجنون ولو كان وزيراً أو أميراً أو مهندساً أو طبيباً ما دامت الدنيا غرته وشغل بها عن طاعة الله فهو ساقط من نظر الله تعالى .

وهل يرضى عاقل فى الوجود أن يسقط من نظر الواحد المعبود وقد جاء فى الحديث أن من ترك صلاة متعمداً برئت منه ذمة الله وذمة رسوله ﷺ (١) أى سقط من نظر الله وغضب عليه يا أخى إذا غضبت عليك الحكومة هل يستقر لك قرار أو يهدأ لك بال فكيف ترضى يا مجنون بغضب الواحد القهار ومن حكم شيخنا رضى الله عنه قال :

لا تستقرُّ طريدَ أىِّ حكومةٍ أفتستقرُّ طريدَ من سواكا
تخشى أخا عجز ولا تخشى الذى بيديه سعدُك كلُّه وشقاكا

والقرآن الكريم والسنة المطهرة مليئان بما يزهدك فى الدنيا ويرغبك فى الآخرة وليس الزهد فى الدنيا بترك العمل وتضييع النفس والتظاهر بمظهر الصالحين من ترك الزينة بل الزهد فى الدنيا أن تؤدى لعملك حقه ولو غاب رئيسك أو المفتش لأنك تراقب الله ولا ترضى بالحرام والزهد فى الدنيا ليس بإضاعة المال ولا بتحريم الحلال بل هو أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك فإن وسع الله عليك فى المال أنفقت ذات اليمين وذات الشمال فيما يرضى الكبير المتعال وإذا أعطاك الله الكفاف فرحت وعلمت أن المصلحة لك فى ذلك فقد يوسع الله على عبد فى الدنيا وهو عليه غضبان وقد يقتر على عبد وهو راض عنه كما فى الحديث « إن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين إلا من أحب(١) .

(١) رواه الإمام أحمد

فالدين هو كل شيء وإذا طلبنا شيئا من الدنيا فإنما نطلبه لخدمة الدين ويجب علينا معشر المسلمين أن نعيش حياتنا كلها فى خدمة الدين حكاماً ومحكومين

وما الدين للإنسان إلا سعادةٌ
وما الناسُ لولا الدينُ إلا بهائمُ

ففكروا فى القرآن والسنه وكلام الأئمة وأهل الحكمة كشيخنا الخطيب واحرصوا كل الحرص على أداء ما أوجب الله عليكم من صلاة وزكاة وصيام وحج وغير ذلك فما أوجب الله عليكم الفرائض إلا لمصلحتكم وهو غنى عنكم وعن العالمين بل هو الغنى بذاته عن ذاته فكيف لا يكون غنياً عن مخلوقاته وإنما أمره لكم بالفرائض هو أمر بدخول الجنة فهل يوجد عاقل يأمره الله بدخول الجنة فيأبى ويرمى بنفسه فى النار وهل يرمى بنفسه فى النار إلا من هو أقل عقلا من الحمار إن كان له عقل فاهتموا بالفرائض وابتعدوا كل البعد عن الحرام فإنه نار وذل وصغار وعيب وعار .

ذكر ابن القيم جزاه الله خيراً أن رسول الله ﷺ كان مع بعض أصحابه فمر رجل مجنون فقال بعضهم مجنون فقال ﷺ « لا تقولوا مجنون ولكن قولوا مصاب فإن المجنون من وقع فى معاصى الله عز وجل » والمعنى صحيح وأكثروا بعد ذلك من ذكر الله ،

فبثلاثة أشياء مأخوذة من كلام سيد الأنبياء ﷺ تكونون من أسعد السعداء وهى المحافظه على الفرائض بكل اهتمام والبعد عن كل شيء حرام والإكثار من ذكر الملك العلام .

بعد ذلك قال شيخنا الهمام :

« إياك إياك والأحداثَ تصحبها
والغِيدَ تسلم فكم فى ذين من نقم »

يحذرنا شيخنا الكريم من صحبة الأحداث وهم صغار السن المرد

فالغلام الأمرد قد تكون عليه سمة من جمال فتكون الفتنة به كفتنة النساء بل أشد لأن الخلوة به ممكنة ، بدون اعتراض وكذلك النظر إليه وكان الصالحون إذا اضطروا لمجالستهم أجلسوهم خلفهم ويأبون جلوسهم في الحلقة خشية الفتنة بهم ،

وكذلك يحذرنا من صحبة الغيد . جمع غيداء وهى المرأة الناعمة وما أشد الفتنة بالنساء حتى قال سيد الأنبياء ﷺ كما ثبت فى الصحيح « ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء »(١) وخاصة فى هذا الزمان وقد خلع أكثرهن برقع الحياء فالحذر من النظر إلى المرأة الأجنبية والأمرد الحسن لغير حاجة شرعية .

قال تعالى : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون(٢) .

وقال تعالى : (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور)(٣) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لامحالة . العينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخُطا والقلب يهوَى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه »(٤) .

فإن سألت عن النظر فجأة بدون قصد فعن جرير رضى الله عنه قال :

---

(١) متفق عليه .

(٢) الآية ٣٠ من سورة النور .

(٣) الآية ١٩ من سورة غافر .

(٤) رواه مسلم وأبو داود . وأصله متفق عليه .

سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة فقال : « اصرف بصرك » رواه مسلم .

والأحاديث فى ذلك كثيرة وكما يحرم على الرجال النظر إلى النساء لغير حاجة شرعية كذلك يحرم على النساء النظر إلى الرجال لغير حاجة شرعية .

قال تعالى : (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن) الآية وهى من سورة النور ياليت نساء المؤمنين يتنبهن لهذه الآية الكريمة .

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت: كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال النبى ﷺ « احتجبا منه » فقلنا يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ! فقال النبى ﷺ « أفعميا وان أنتما ألستما تبصرانه؟ رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح ، قال شيخنا رضى الله عنه :

وإن سبتك الدمى فانظر بفكرك ما
تغدو إليـــه الدُّمَى فى ظلمة الرَّجَمِ

ومعنى سبتك أسرتك واستولت على فكرك والدمى هى الصورة من العاج ونحوه أو هى الثياب التى فيها التصاوير أى المرأة الجميلة ذات الثياب المزخرفة وتغدو إليه تصير إليه والرجم الحجارة الضخمة التى تجمع على القبر ليسنم .

والمعنى إن أسرتك واستولت على فكرك المرأة الجميلة فانظر بفكرك ماتصير إليه فى ظلمة القبر فإنها تتحول إلى جيفة قذرة منتنة تغمض عينيك

حتى لا تنظر إليها وتسد أنفك حتى لا تشم ريحها وتهرب كل الهرب منها بعد يوم أو يومين ولله در من قال :

حتام لا ترعوى عن عشق فانية
في منتهاها جميـــع الهم والنصب

ومن نصائح شيخنا الخطيب : لا تترك قلبك ألعوبة فى الميل إلى النساء حتى لا تذهب قوة دينك وعزة شرفك وأدب نفسك .

ومن كلام سيدى على وفا رضى الله عنه : من ظفر بكنز جوهر الألباب مرفوع الموانع مفتوح الأبواب زهدت والله نفسه فى افتراش الزبالة وسف التراب وليست الزينة الدنيوية إلا ترابا آيلا إلى الذهاب خلقت بمحنة يمتحن بهـا الصادق فى حب الله من الكذاب فمن أحب الله تعالى لم تساو الدنيا عنده رجل ذبابة من الذباب بل صغرت عنده الأكوان كلها فى جانب ذلك الجناب ومن أحب صورة عبدها فمحب الله مخدوم لسائر الأحباب لا عبد شىء من هذه الأسباب ولمحب الله تخضع الرقاب فكيف يخضع لزينة ترابية من له هذا العز المهاب من كرم العلى الأعلى الوهاب (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ، وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً)(١) .

الصعيد هو التراب القاطع لما تعلق به تعلق اطمئنان واكباب فكن من الزاهدين فى الحظوظ الترابية الجروز فأنت عرفت أنك ظفرت بكنز الكنوز » .

---

(١) الآية ٧ ، ٨ من سورة الكهف .

ومن دعاء سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه :

« يا الله يا على يا عظيم يا حليم يا حكيم يا كريم يا سميع يا قريب يا مجيب يا ودود حل بيننا وبين فتنة الدنيا والنساء والغفلة والشهوة وظلم العباد وسوء الخلق واغفر لنا ذنوبنا واقض عنا تبعاتنا واكشف عنا السوء ونجنا من الغم واجعل لنا منه مخرجا إنك على كل شيء قدير » .

وينسب إلى الإمام على رضى الله عنه أنه قال : « والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله فى نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته وإن دنياكم عندى أهون من ورقة فى فم جرادة تقضمها ما لعلى ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى » .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إذا أعجبت أحدكم امرأةٌ فليذكر مناتنها ، وقد ذكر أن رجلا عشق امرأة فمد يده إليها مع طيش فقالت له تأمل أمرك أتدرى ما تريد أن تصنع إنما تريد أن تبول فى بالوعة لو شاهدت داخلها لوجدته أنتن من الكنيف فبرد وسكن ولم يعاود فما أكرم الإنسان تستولى على قلبه عظمة الله وخشيته فيترفع عن الدنايا والشهوات الخسيسة وما أحقره عند ما تستولى عليه شهوته ولله در من قال :

كم قتيل لشهوة وأسير
أف من مشتهٍ خلاف الجميل

شهوات الإنسان تورثه الذل
وتلقيه فى البلاء الطويل

واعلم أن شهوة النساء إذا استولت على قلب إنسان أفسدته وجعلته لصا يسرق النظرات ويشتهى المحرمات ولا يقنع بالحلال بل يزهد فى الحلال ويرغب فى الحرام وذكر أن أعمى كان مريضا بحب الزنا فاحتالت عليه

زوجته وأرسلت إليه إمرأة تقول له سآتيك بامرأة جميلة من أسرة غنية بشرط أن لا تكلمها حتى لا تعرف صوتها ففرح بذلك واستعد فلما كان الليل جاءته زوجته على أنها المرأة الأجنبية فواقعها وهو فى غاية اللذة وبعد الفراغ من ذلك كلمته زوجته قائلة أليس هذا أحسنَ من الحرام .

فقال سبحان الله ما أقبحك فى الحلال وما أحسنك فى الحرام وهذا كله من مرض القلوب والعياذ بالله .

ولقد حدثنى إنسان بأنه لم يزن قبل الزواج ولما تزوج زنى والعياذ بالله بإحدى الزائرات لزوجته وهذا لدناءته وخسته وكل هذا الفساد سببه البعد عن تعاليم الإسلام تذهب المرأة إلى صديقتها ولا تجدها فى البيت وتجد الرجل وحده فيأذن لها بالدخول فتدخل فتقع الجريمة أو يذهب الرجل إلى صديقه فلا يجده فى البيت ويجد زوجته وحدها فتأذن له بالدخول فيدخل المغفل فتقع الفاحشة .

وحكى لى شاب أيضا وهو نادم أنه ذهب إلى صديقه فاستقبلته أم لصديقه وليس معها أحد وقالت له تفضل بالدخول هو هنا وأجلسته فى حجرة الجلوس على أن تأتى بولدها وجاءته هى بعد أن استعدت وتزينت له وتهيأت وأغرته فوقعت الكارثة وعرض علينا كثير من هذا من أجل الفتوى وهل لهم من توبة ؟ فأدلهم على التوبة مقبحا عملهم زاجراً لهم وغير ذلك كثير أستحى من ذكره وما ذكرت ما ذكرت إلا للعظة وبيان فساد الاختلاط والفوضى التى وقع فيها جمهور الناس بسبب المدنية الفاجرة فيا ناس تعلموا آداب دينكم دين الإسلام دين الطهر والكمال وعلموا نساءكم وبناتكم وحذروهن من الاختلاط والخلوات وليتعلمن آداب القرآن والسنة قال تعالى :

(يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول

فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفاً)(١) وقال صلى الله عليه وسلم : « إياكم والخلوة بالنساء والذى نفسى بيده ما خلا رجل بامـــرأة إلا دخل الشيطان بينهما(٢) وقال ﷺ : « إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أفرأيت الحمو قال الحمو الموت »(٣) أى احذروه كالموت والحمو أقارب الزوج غير المحارم كأخيه وعمه وابنهما ونحو ذلك ولله . در من قال : (لا يأمنن على النساء أخ أخاه) وخاصة فى هذا الزمان الذى نامت فيه العقول واستيقظت فيه الشهوات .

ولما نادى بعض المستهترين بالاختلاط فى الجامعات وكان على رأسهم أستاذ عميد أدب وجامعة كا يقولون فرد عليه الشيخ عبد الله الصديق الغمارى وهو محدث عظيم أتى بالآيات والأحاديث التى تنهى عن ذلك وقال ليس مرادى أن أقنع العميد فإن حضرة العميد عنيد لا تقنعه إلا مقامع من حديد وكذلك كل شيطان مريد استهوته دنياه وغلب عليه شيطانه وهواه .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة)(٤) الآية أى علموهم وأدبوهم والمرأة ماأحوجها إلى المحافظة عليها والبعد بها عن الفتن ولله در من قال : أربع كلمات انتخبن من أربعة آلاف حديث لا تثقن بامرأة ولا تغترن بمال ولا تحمّل معدتك ما لا تطيق وتعلم من العلم ما ينفعك .

---

(١) الآية ٣٢ من سورة الأحزاب .
(٢) رواه الطبرانى . وابن حجر فى الزواجر .
(٣) متفق عليه .
(٤) سورة التحريم .

والمرأة عليها مدار كبير فإذا أخفت زينتها ومفاتنها وأظهرت أدبها وعفتها كانت أغلى شيء فى الحياة الدنيا وتسببت فى سعادة بيتها ومجتمعها وإذا أظهرت زينتها ومفاتنها وانتفى أدبها وعفتها كانت كارثة وهوت ببيتها ومجتمعها إلى الحضيض أو الهاوية .

ترى كثيرات من الموظفات تخرج من بيتها متزينة متكشفة وتباسط زميلها وتضاحكه وتصافحه ولعلها فى بيتها مع زوجها كأنها عقربة ، ومصافحة المرأة الأجنبية من غير حائل حرام باتفاق أئمة المذاهب الأربعة فتعجب لهؤلاء المتساهلين الذين يفتون بغير ذلك وما الداعى إلى ذلك ويكفى إلقاء السلام مع الأدب والاحتشام وعلى المرأة أن لا تخرج من بيتها لعملها أو مصلحتها إلا وهى فى غاية الاحتشام والالتزام بآداب الإسلام وإذا وجدت ما يغنيها عن العمل خارج بيتها فهو أفضل من غير منازع من أهل العلم وعملها فى بيتها وتربية أولادها وحسن القيام بحق زوجها يعدل الجهاد فى سبيل الله كما فى الحديث الشريف .

« حسن تبعل المرأة لزوجها يعدل الجهاد فى سبيل الله »(١) وفقنا الله لما يحبه ويرضاه . بعد ذلك قال شيخنا رضى الله عنه .

وجىء بخير وقل خيراً وإن جنحت
للشر نفسك فاحذر ربة الضَّرَمِ

أى التزم الخير فعلا وقولا وإن مالت نفسك للشر فحذرها وخوفها من ربة الضرم وهى النار المشتعلة إنها نار حامية حرها شديد وقاعها بعيد وماؤها صديد وعصيها حديد وملائكتها عبيد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

---

(١) رواه البزار والطبرانى .

روى عن الإمام على رضى الله عنه قال : « من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها .

وسئل ياأمير المؤمنين : من العالم ؟ قال : من اجتنب المحارم قيل فمن العاقل ؟ قال : من رفض الباطل قيل فمن السيد ؟ قال من فعاله جيد . قيل فمن السعيد ؟ قال : من خشى الوعيد . قيل فمن الكريم ؟قال من نفع العديم قيل فمن الشريف ؟ قال : من أنصف الضعيف قيل فمن الغمر ؟ قال : من وثق بالعمر قيل فمن الهالك ؟ قال : من دفع إلى مالك.

قال تعالى : (أفمن يلقى فى النار خير أمن يأتى آمنا يوم القيامة اعملوا ماشئتم إنه بما تعملون بصير)(١)

ومن الحكم العظيمة :

اعمل للدنيا بقدر مقامك فيها

واعمل للآخرة بقدر بقائك فيها

واعمل للنار بقدر صبرك عليها

واعمـــل لله بقدر حاجتك إليه

مر ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه بسوق البصرة فاجتمع الناس إليه فقالوا ياأبا اسحاق مالنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟ قال :

لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء : الأول : عرفتم الله فلم تؤدوا حقه .

---

(١) ٣٩ من سورة فصلت .

الثانى : زعمتم أنكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته .

الثالث : قرأتم القرآن ولم تعملوا به .

الرابع : أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها .

الخامس : قلتم إن الشيطان عدوكم ووافقتموه .

السادس قلتم إن الجنة حق ولم تعملوا لها .

السابع قلتم إن النار حق ولم تهربوا منها .

الثامن : قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له

التاسع : إذا انتبهتم من النوم اشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم .

والعاشر : دفنتم موتاكم فلم تعتبروا بهم .

فاعتبروا ياأولى الأبصار واحذروا عذاب النار وغضب الجبار

قال شيخنا رضى الله عنه :

ولا تفرط وخذ بالحزم(١) متوكلا
فالأخذ بالحزم منجاة من الحزَمِ(٢)

والتفريط التقصير فى الأمر وتضييعه حتى يفوت .

والحزم ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة .

والحزم الشد بحبال الندم فى الدنيا وسلاسل النار فى الآخرة .

والمعنى لاتقصر فى أمورك واضبطها بالعزم والثقة فمن أخذ أموره بالعزم والثقة متوكلا على الله نجا من الندم فى الدنيا والعذاب فى الآخره وإذا كان التفريط فى أمور الدنيا يعقبه النـــدم والحرمان فكيف

---

(١) الحزم : بسكون الزاى (٢) الحزم : بفتح الزاى

بالتفريط فى أمور الدين إنه يعقب الندامة وندامة يوم القيامة أشد وعذاب الآخرة أشق ولا يستخف بذلك إلا من كان أعمى القلب .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه « أصدق الحديث كلام الله » وأشرف الحديث ذكر الله ، وشر العمى عمى القلوب ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، وشر الندامة ندامة يوم القيامة ، وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى والخمر جماع الاثم والنساء حبائل الشيطان والشباب شعبة من الجنون ، وشر المكاسب كسب الربا ، وأعظم الخطايا اللسان الكذوب .

وفى بعض الآثار : إن العجب كل العجب لمن صدق بدار البقاء وهو يسعى لدار الفناء وعرف أن رضا الله فى طاعته وهو يسعى فى مخالفته .
قال شيخنا :

وَأَلزِمِ النفسَ ذكرَ الموت تُكفَ بِهِ
عونا على زهد دار الهم والسَّجَمِ

أى ذكر نفسك بالموت واجعله دائما لك على البال وكان بعض العارفين إذا دعا لمن طلب منه الدعاء يقول : جعل الله ذكر الموت لك على البال ولله در من قال :

صاح شمر ولا تزل ذاكرَ الموت
فنسيانه ضلال مبين

وقال آخر :

الموت يا مسكين حقا تأتى فما تزودت من الخيرات
آثرت دنياك على أخراك
ولم تخف يا صاح من مولاك

والقرآن الكريم كثيراً ما يذكرنا بالموت قال تعالى :

(كل نفس ذائقـــة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحيــاة الدنيا إلا متاع الغرور)(١) .

تكفي هذه الآية عظة لكل من في قلبه حياة وفي القرآن آيات كثيرة كلها تذكر بالموت وكذلك السنة المطهرة فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك رواه البخاري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بادروا بالأعمال سبعاً هل تنظرون إلا فقراً منسياً أو غنى مطغياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مفندا أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر رواه الترمذي وقال حديث حسن .

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه »(٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : قال رسول ﷺ « أكثروا من ذكر هازم اللذات(٣) »

---

(١) سورة آل عمران .

(٢) رواه الترمذي وقال حسن صحيح ورواه الإمام أحمد والحاكم

(٣) رواه الترمذي

وذكر أن أمرأة جاءت إلى السيدة عائشة رضي الله عنها تشكو قساوة قلبها فقالت لها أكثرى من ذكر الموت ففعلت فرق قلبها فعادت إلى السيدة عائشة تشكرها لأن قساوة القلب أعظم مصيبة يصاب بها الإنسان وكثرة ذكر الموت تزيل هذه القساوة . والبهائم هى التى تنسى الموت وتقاد إلى المذبح وهى لا تعلم من أمرها شيئا وصدق من قال لو تعلم البهائم من أمر الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا وقال آخر « فضح الموت الدنيا فلم يترك لذى لب فرحا » .

وقول شيخنا « تلف به » أى تجد بذكر الموت عونا على زهد دار الهم أى الحزن والشجم أى الهلاك . والزهد فى الدنيا مطلوب بنص القرآن والسنة فمن أنكره فهو جهول قال تعالى : (قل متاع الدنيا قليل)(١) .

وقال تعالى : (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين)(٢) .

فتأمل هذه الآية إن كنت من أهل اليقين وتأمل قول الله تعالى لسيد الأولين والآخرين ﷺ (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى)(٣) والآيات فى ذلك كثيره جدا وكذلك السنه المطهرة .

فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : جلس رسول الله ﷺ

---

(١) سورة النساء

(٢) سورة الزخرف

(٣) سورة طه

على المنبر وجلسنا حوله فقال : «إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها» متفق عليه .

وعنه أن رسول الله ﷺ قال : «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء» رواه مسلم .

وعن أبى سهل الساعدى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء» رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

وغير ذلك كثير وكثير وليس الزهد فى الدنيا بترك الأعمال ولبس المرقع وإهمال البيت والعيال فقد ترى فقيرا حافى القدمين وقلبه يتقطع حسرات على الدنيا وقد ترى ملكا أو أميرا وقلبه زاهد فيها .

قيل لبعض العلماء أيها الزاهد فقال لست بزاهد . إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز لأن الدنيا فى قبضته وهو معرض عنها فالزهد فى الدنيا مع التمكن منها أبلغ من الزهد فيها مع الإفلاس منها وإن تأتى فى كلا الحالين ، وعلامة الزهد مع وجود الدنيا أن يتحرى الحلال وأن ينفق فى سبيل الله ذات اليمين وذات الشمال وأن لا يتفاخر بها أويراها شيئا يذكر بل يجعلها فى خدمة الدين وهذا لا يكون إلا بعناية من رب العالمين وعلامة الزهد مع فقدها الرضا بذلك وعدم التطلع إليها والغنى بالله عنها وهذا أيسر قال بعض الصحابة :

ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر .

قال الشيخ العارف بالله فتح الله النبهانى فى كتابه إتحاف أهل العناية الربانية : وبالجملة فعداوة الدنيا محققة عند كل واحد إما حالا باعتبار المؤمن وإما مآلا باعتبار الكافر .

وكيف لا تكون عدوة للمؤمن والآخرة لا تدرك إلا بالزهد فيها وفى الخبر عن سيدنا موسى بن يسار عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا وأنه منذ خلقها لم ينظر إليها(١) وورد فى الخبر لكل أمة عجل وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم(٢) وقد قال تعالى: «إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا»(٣).

فالطالب للدنيا ذليل مقيد بقيود شهوته لا يميز بين الحق وأهله وبين الشر وأهله والأخبار فى ذم الدنيا أكثر من أن تحصى وقد قال عمار بن سعد مر عيسى عليه السلام بقرية فإذا أهلها موتى فى الأفنية والطرق فقال يا معشر الحواريين إن هؤلاء ماماتوا إلا عن سخطة ولو ماتوا على غير ذلك تدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا أننا علمنا خبرهم فسأل ربه فأوحى إليه إذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل أشرف عليهم ونادى يا أهل القرية فأجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قال بتنا فى العافية وأصبحنا فى الهاوية قال وكيف كان ذلك قال بحبنا للدنيا وطاعتنا أهل المعاصى قال وكيف كان حبكم للدنيا قال حب الصبى لأمه إذا أقبلت فرحنا وإذا أدبرت حزنا وبكينا قال فما بال أصحابك لم يجيبونى قال لأنهم ملجمون بلجام من النار بأيدى ملائكة غلاظ شداد قال كيف أجبتنى أنت من بينهم قال لأنى كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابنى معهم فأنا معلق على شفير جهنم لا أدرى أنجو منها أم أكبكب فيها. قال المسيح للحواريين لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية

(١) رواه الحاكم فى التاريخ وهو عن أبى هريرة بسند ضعيف. وروى نحوه ابن عساكر بسند ضعيف أيضا

(٢) أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس. بإسناد فيه جهالة. (تخريج العراقى للإحياء حـ٣ صـ١٩٨)

(٣) سورة الأعراف.

الدنيا والآخرة . . . إلخ ماذكره الشيخ وسواء صح سند هذه القصة أو لا فالمعنى صحيح يؤيده صريح القرآن وصحيح السنة ولا يستبعد ذلك إلا من أعمى الله قلبه بحب الدنيا الذى هو رأس كل خطيئة وحب الدنيـــا مع نسيان الآخرة جنون وخذلان فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن الولد يتبع الأم .

قال تعالى : (وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون)(١) .

دلت الآيه على أن أبناء الدنيا لا عقول لهم وجاء فى الحديث الشريف « الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لاعقل له » ذكر هذا الحديث الإمام ابن كثير(٢) فى تفسير قوله تعالى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا)(٣) .

وقال العارف بالله سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه :

أربع ليس معهن من العلم لاقليل ولا كثير حب الدنيا ونسيان الآخرة وخوف الفقر واليأس » وهذا كلام سليم يصدقه القرآن والسنة فاعتبروا يا أولى الأبصار ألم يبين الله فى كتابه الكريم أن الذين يريدون زينة الحياة الدنيا هم الجهلاء وأن الذين يريدون الآخرة هم العلماء قال تعالى فى سورة القصص عن قارون (فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنـــا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم) وهم الجهلاء

---

(١) سورة القصص .
(٢) ابن كثير جـ٣ ص ٣٣ والحديث رواه الإمام أحمد .
(٣) سورة الإسراء .

عظموا زينة الحياة الدنيا بدليل قوله تعالى بعدها (وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن عمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون)(١) اللهم طهر قلوبنا من حب الدنيا واملأها بحبك ياذا الجلال والإكرام .

قال شيخنا رضى الله عنه :

وإن قسا القلب فالأجداث موعظة
بها ترق وتهمى عبرة الندم
إذا تأملت من فيها فلست ترى
مفرقاً بين صيد الناس والخدم
ولا مَلِئ وذى فقر ومن دفنوا
فى سَبْسَب مجهل أو باذخ الأُطم
وكيف والترب أبلاهم وقد مزجت
رِمُّ الهوادى برم الساق والقدم
وما ملكت فقل يانفس سوف يرى
ملكا لغيرى كما قد كان من قدم

وهذه الأبيات الأخيرة من قصيدة شيخنا مرتبط بعضها ببعض وفيها مواعظ بالغة وحكم سامية وفوائد نافعة فقوله : وإن قسا القلب فالأجداث موعظة الأجداث القبور والمراد زيارتها فى زيارة القبور موعظة بها ترق القلوب وتخشع وتهمى أى تسيل عبرة الندم أى دموع الندم والندم توبة لأنه أعظم أركانها وكان سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه يذكر الجنة والنار ولا يبكى وعندما يرى القبر يبكى فقيل له ياأمير المؤمنين تذكر الجنة والنار ولا تبكى وعندما تذكر القبر تبكى فيقول وكيف لا أبكى والقبر أول منزل من منازل الآخرة فإن كان سهلا فما بعده أسهل وإن كان صعبا فما بعده أصعب .

---

(١) سورة القصص .

ويحسن هنا أن نذكر شيئاً عن زيارة القبور وشيئاً عن البكاء من خشية الله .

أما زيارة القبور ففى (تنوير القلوب)(١) قال : تسن زيارة قبور المسلمين للرجال لأجل تذكر الموت والآخرة وإصلاح فساد القلب ونفع الميت بما يتلى عنده من القرآن لخبر مسلم .

(كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها) ولقوله عليه الصلاة والسلام (اطلع فى القبور واعتبر بالنشور) رواه البيهقى خصوصاً قبور الأنبياء والأولياء وأهل الصلاح وتكره من النساء لجزعهن وقلة صبرهن ومحل الكراهة إن لم يشتمل اجتماعهن على محرم وإلا حرم ويندب لهن زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وكذا قبور سائر الأنبياء والعلماء والأولياء وتتأكد يوم العيد ومن عشية خميس إلى طلوع شمس سبت ويكره المبيت بها لما فيه من الوحشة والمشى والجلوس عليها .

ويحرم البول والغائط وإلقاء نجاسة عليها ويسن أن يكون الزائر متوضئاً وأن يقول عند دخوله : السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ويقرأ ما تيسر من القرآن لأن القراءة تنفع الميت فى ثلاثة مواضع إذا قرئ فى حضرته أو فى غيبته لكن دعا له عقبها أو قصده بها وإن لم يدع له ويسن قراءة الإخلاص إحدى عشرة مرة وأن يقول : اللهم أوصل ثواب ما قرأته إلى فلان أو للموتى وأن يتصدق عليهم فينفعهم ويصل ثوابه إليهم وأن يقرب من مزوره كقربه منه حيا ويسلم عليه . مستقبلا وجهه لقوله ﷺ « ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام) رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى ثم يتوجه إلى القبلة فيدعو له بنحو : (اللهم رب هذه الأجساد

---

(١) للعارف بالله الشيخ أمين الكردى .

البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليها روحا منك وسلاماً منى . اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم) والدعاء ينفع لرفع العذاب ورفع الدرجات قال ﷺ : (ما الميت فى قـــبره إلا كالغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديق له فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار) رواه الديلمى .

ويندب وضع الجريد والريحان على القبر كما جرت به العادة لأنه يستغفر للميت ما دام رطباً لما ثبت أن النبى ﷺ (شق الجريدة نصفين ثم غرس على قبر نصفاً وعلى قبر نصفاً وقال : لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا) رواه الشيخان ومنه يعلم أن قراءة القرآن تنفع الميت لأنه إذا وصل النفع إليهما (أى القبرين) بسببهما (أى نصفى الجريدة) حال رطوبتهما فانتفاعه بقراءة القرآن من الرجل المؤمن من باب أولى . إنتهى .

وقد علمت يا أخى أن زيارة القبور من النساء مكروهة فى حالة احتشامهن وأمن الفتنة والبعد عن كل قول أو فعل يخالف الشرع والدين .

وأما ما يحصل منهن اليوم من الزيارة متبرجات ورفع أصواتهن بالنوح والبكاء والاختلاط بالرجال فحرام وإجرام ولو لزمت المرأة بيتها ودعت لميتها وتصدقت عنه فى بيتها لكان خيراً له ولها وخاصة فى هذا الزمان الذى خلعت فيه المرأة برقع الحياء .

ولو وجد الرجال بمعنى الـكلمة لمنعوا النساء من زيارة القبور والمشى خلف الجنازة كما فى السعودية لا ترى امرأة خلف جنازة ولا فى المقبرة إنك لو رأيت النساء واجتماعهن على القبور فى المواسم ويوم الخميس وصبيحة دفن الميت وما يحصل منهن من إختلاط وفساد مع تركهن للصلاة

وغفلتهن عن ذكر الله وجهلهن بالدين وآدابه لأيقنت أن ذلك بدعـــة منـكرة وعمل يؤذى الأموات فضلا عن الأحياء فأين الرجال وأين الحياء ؟

فى كتاب تسلية المصاب للشيخ عبد السلام المنير وكان واعظاً عاماً بالقطر المصرى ذكر فيه أن امرأة بعض أهل الدنيا كانت تخرج فى الأخمسة لتفرق الرحمة على زوجها عند قبره كما يزعمن وكانت تلتقى ببعض الفسقة من الذين يقرأون القرآن على المقابر ليأخذوا رغيفا أو كعكة فإذا خلالها المكان فعلا الفاحشة على القبر وإذا أحس الفاسق بمجىء أحد من الناس قام فقرأ القرآن أعوذ بالله وقراءة القرآن على المقابر بهذا الشكل المزرى فيها إثم كبير .

وقد يجتمع اثنان فأكثر ويبنى بعضهم على قراءة بعض وقد نص العلماء على أن هذا حرام .

أما القراءة مع الإخلاص وأدب التـــلاوة فلا مانع منها وينتفع بها الأموات والأحياء كما تقدم .

وأما البكاء من خشية الله تعالى فهو من أجل النعم ينعم الله به على أوليائه وأحبائه وهو ثمرة من ثمرات العلم والمعرفة قال تعالى فى شأن انبيائه (أذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا)(١)

وفى الحديث الصحيح (سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل الاظله) وذكرمنهم « ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه »(٢)

وفى الحديث(عينان لا تمسهما النار عين باتت تحرس فى سبيل اللهوعين

---

(١) من الآية ٥٨ من سورة مريم (٢) متفيق عليه

بكت من خشية الله)(١) والسبيل إلى ذلك لا يكون إلا بكثرة الذكر والبعد عن اللهو والتفكر فى الآخرة ومجالسة العلماء والصالحين وكثرة الصيام وقلة الطعام والبعد عن كل شىء حرام

ولو لم يبك ابن آدم إلا على مافات من عمره فى الغفلات لكان حريا أن يبكى على نفسه إلى الممات

نسأل الله أن يوفقنا لما فيه رضاه وأن يبعدنا عن كل شىء لا يرضاه. قال شيخنا : إذا تأملت من فيها أى القبور فلست ترى مفرقاً أى فرقاً بين صيد الناس أى ملوكهم والخدم فالملك والمملوك والغنى والصعلوك تساوت قبورهم فى القفر والبيد فسبحان من أذل بالموت من الجبابرة كل جبار عنيد وكسر به من الأكاسرة كل بطل صنديد أخرجهم من سعة القصور إلى ضيق القبور وقطع حبل أملهم المديد ولا فرق أيضاً بين ملى أى غنى مهما اتسع غناه وذى فقر أى فقير مهما اشتد فقره ومن دُفِنُوا (فى سبسب مجهل) . والسبسب الأرض المستوية البعيدة والمجهل المفازة ليس فيها أعلام (أو باذخ الأطم) أى أعلا الجبال .

وكيف والترب أبلاهم وقد مزجت

رم الهوادى برم السـق والقـدم

أى كيف ترى فرقا بين المدفونين والتراب أبلاهم حتى صاروا ترابا وقد مزجت أى خلطت رم الهوادى والرم الثرى والهوادى الأسنمة أى اختلط تراب أعلى شىء فى الإنسان وهو الرأس بتراب أسفل شىء فيه وهو الساق والقدم فكيف يتكبر ويطغى وينسى المقابر والبلى قال الشاعر

ألا أيها الناسى ليوم رحيله أراك عن الموت المفرق لاهيا
ولا ترعوى بالظاعنين إلى البلى وقد تركوا الدنيا جميعا كما هيا
ولم يخرجوا إلا بقطن وخرقة وما عمروا من منزل ظل خاليا

---

(١) أبو يعلى فى مسنده . والضياء عن أنس

وهم فى بطون الأرض صرعى جفاهموا

صديق وخل كان قبل موافيا

وأنت غدا أو بعده فى جوارهم وحيدا فريدا فى المقابر ثاويا

جفاك الذى قد كنت ترجو وداده ولم تر إنسانا بعهدك وافياً

فَكُنْ مستعدا للحمام فإنه قريب ودع عنك المنى والأمانيا

ولما كان المال سببا فى الطغيان والغرور لأكثر الناس قال شيخنا فى البيت الأخير من قصيدته الحكيمة :

وماملكت فقل يانفس سوى يرى ملكا لغيرى كما قد كان من قدم

أى وخاطب نفسك محذر الهامن الغرور بما تملك من مال وقل لها إن هذا المال كان ملكا لغيرى ثم صار إلى وسوف يرى ملكا لغيرى كما كان من قبلى فكيف يغتر عاقل بشىء لا يبقى أو يفرح به والفرح بالدنيا غرور والفرح بطاعة الله هو السرور قال تعالى : (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)(١) .

والعاقل من هو بما يبقى أفرح منه بما يفنى .

والناس بالنسبة للمال أربعة أصناف صنف يجمعه من حلال ولكن ينفقه فى حرام فهو من الخاسرين . وصنف يجمعه من حرام وينفقه فى حلال فهو أيضا من الخاسرين وصنف ثالث يجمعه من حرام وينفقه فى حرام فهو أشد الخاسرين والصنف الرابع يجمعه من حلال وينفقه فى حلال يؤدى حق الله منه ولا يشغل به عن طاعة الله ويجعله فى خدمة الدين فهو من الفائزين قد جمع بين سعادة الدنيا والدين .

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا

وأقبح الكفرَ والإفلاسَ بالرجل

---

(١) سورة فاطر

حقا ما أنفع المال فى يد ذى علم وفضل
وما أضره فى يد ذى جهل وبخل .

والناس فى هذا أيضا أربعة أقسام كما جاء فى الحديث الشريف :

القسم الأول من أعطاه الله العلم والمال فهو يتصرف فى ماله على حسب علمه فهو من الفائزين :

والثانى أعطاه الله علما ولم يعطه مالا فهو يتمنى لو كان عنده مال لفعل كذا وكذا على حسب علمه فهو والأول سواء أى من الفائزين :

والثالث أعطاه الله المال ولم يعطه علماً فهو يتصرف فى ماله على حسب جهله فهو من الخاسرين .

والرابع لم يعطه الله علماً ولا ومالا فهو يتمنى لو كان عنده مال لفعل به كذا وكذا حسب جهله فهو والثالث سواء أى من الخاسرين وتبين من هذا أن الخير كله مع العلم سواء وجد المـال أولا ، والشر كله مع الجهل فإن وجد المـال مع الجهل ازداد الطين بلة وان لم يوجد المـال مع الجهل خسر الدنيا والآخرة .

والمراد بالعلم العلم النافع وهو الذى تكون معه الخشية من الله قال تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء)(١) .

فمن لم يخش الله فليس بعالم ،والعلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك وكلما ازداد الإنسان علماً ازداد خوفاً من الله وكلما ازداد جهلا ازداد جرأة على الله واعلم أن العلم إنما يتعلم لأنه إلى العمل سلم كما أن العمل إلى ما عند الله ذريعة ولولاهما ما علم عالم ولاشرعت شريعة .

ولو نفع العلم من غير عمل ما ذم الله أحبار اليهود ولو نفع العمل من غير إخلاص ماذم الله المنافقين فلابدمن العلم والعمل والإخلاص معاً ومن فقد واحداً منهما كان بناؤه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم نعوذ

---

(١) سورة فاطر .

بالله من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لهـا وأفضل طريق يوصل إلى العلم النافع هو تقوى الله قال تعالى : « واتقوا الله ويعلمكم الله »(١) .

وليس العلم بكثرة الرواية والحفظ وإنما العلم نور يضعه الله فى قلب من أحب من عباده .

وهل يضع الله هذا النور إلا فى قلوب المتقين قال تعالى : (يأيهـا الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا)(٢) .

أى نوراً تفرقون به بين الحق والباطل وقال تعالى : (ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور) (٣) .

فتقوى الله معها العلم والنور وسـعادة الدنيا والآخرة وعز الدنيا والآخرة ومن لم يفهم ذلك فلا فهم شيئاً قال تعـالى (ولباس التقوى ذلك خير)(٤) .

وقال الشاعر :

اذا المرء لم يلبس لباسا من التقى تقلب عريانا ولو كان كاسيا
وخير لباس المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصيا

ومازالت التقوى بالمتقين حتى تركوا الحلال خوفاً من الحرام أى تركوا جانباً من الحـلال خشية أن يجرهم الى الشبهات فإن التوسع فى الحلال يجر إلى الشبهات والتوسع فى الشبهات يجر إلى الحرام والتوسع فى الحرام يجر الى الكفر والعياذ بالله .

ففى صحيح البخارى عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال سمعت رسول

---

(١) سورة البقرة . (٢) سورة الأنفال .
(٣) سورة النور . (٤) سورة الأعراف .

الله ﷺ يقول الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع فى الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله فى أرضه محارمه ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب »(١) .

وقال بعض العلماء نظماً :

عمدة الدين عندنا كلمات　　أربع من كلام خير البريه
اتق الشبهات وازهد ودع　　ماليس يعنيك واعملن بنيه

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام :

واعلم أن الحق سبحانه لما أراد أن يبنى صورة آدم من زمان تقادم ابتناها على صورة المدينة وأتقن فيها من المبانى ما يدل على قدرة الباقى .

وحرك فيها مثالث ومثانى تشير أن ليس له ثان ثم نصب وسط هذه المدينة قصر المملكة وبث حوله أشراك المهلكة وسمى ذلك القصر بالقلب إذ هو بيت الرب وجعل مدار هذه المدينة عليه ومرجع الكل إليه باشارة ألا وأن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد وإذا فسدت فسد سائر الجسد وهى القلب ووضع فى هذا القصر سرير العز والسلطان وأجلس عليه ملكا يقال له الإيمان وبث الجوارح فى خدمته كالغلمان فقال اللسان أنا الترجمان وقالت العينان ونحن الحارستان وقالت الأذنان ونحن الجاسوسان وقالت القدمان ونحن الساعيتان وقالت اليدان ونحن العاملان وقال الملكان ونحن الشاهدان وقال صاحب الديوان وكما تدين تدان » .

---

(١) رواه الجماعة .

فتأمل ياأخى وقل لنفسك كما قال بعضهم :

باللّه يانفسُ اسمعى واعقلى
مقالة قـــد قالهـا ناصحُ
لاينفعُ الإنسان فى قبره
إلا التقى والعملُ الصالح

وقال آخر :

ألا إنما التقوى هى العز والكرم
وحبك للدنيـا هو الذل والعدم
وليس على عبـــد تقى نقيصة
إذا صحح التقوى وإن حاك أو حجم

قال بعض العارفين مدار الكلام على أربع :

حب الجليل و بغض القليل والعمل بالتنزيل وخوف التحويل : حب الجليل وهو الله وبغض القليل وهو الدنيا (قل متاع الدنيا قليل)(١) والعمل بالتنزيل وهو القرآن والسنة لازمة له وخوف التحويل أى الخوف من سوء الخاتمة . كما هو شأن المتقين والصالحين حتى كان بعضهم يبكى الليل كلهَ خائفا من سوء الخاتمة .

ويقولون : العوام يخافون من الذنوب والعارفون يخافون من الكفر وذكروا أن بعض الصالحين كان كثير البكاء حتى قالت زوجته أما تقر عينى بك وأحالت عليه بعض إخوانه من العلماء فقال له أما قرأت الحديث « من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة »(٢) » فقال لو

---

(١) سورة النساء

(٢) رواه أبو داود والحاكم وقال صحيح الإسناد .

أعلم أنى أموت عليها لم أبال بشىء وسيد العابدين والعارفين والخائفين صلى الله عليه وسلم كان كثير البكاء وقال « لو تعلمون ماأعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا(١) وكان كثيرا مايقول « يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك »(٢)

ووصف الله عباد الرحمن بقوله (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم)(٣) . أى هم مع قيام الليل والاجتهاد فى العبادة يخافون .

وعبيد الشيطان مع تضييع الفرائض وارتكاب الحرام يضحكون وفى الباطل يرتعون كأنهم لا يحاسبون . وإذا قلت لأحدهم اتق الله وخف يوم الحساب ضحك مستهترا وقال ساعتها تفرج . ياأرض ابلعى هؤلاء الحمر

قال تعالى فى شأن المعرضين عن التذكرة (كأنهم حمر مستنفرة)(٤) قال بعضهم أقبح شىء بالإنسان أن يكون غافلا عن الفضائل الدينية والعلوم النافعة والأعمال الصالحة ومن كان كذلك فهو من الهمج والرعاع الذين يكدرون الصفو ويضيقون الديار ويغلون الأسعار إن عاش أحدهم عاش غير حميد وإن مات مات غير فقيد موتهم راحة للعباد والبلاد لا تستوحش لهم الغبراء ولا تبكى عليهم السماء قال تعالى فى شأن المجرمين (فما بكت عليهم السماء والأرض)(٥) .

مما يدل على أن المتقين تبكى عليهم السماء والأرض وثناء الله على المتقين فى القرآن كثير فمن لم يرغب فى تقوى الله فهو مجنون والعجب من أناس يدعون الذكاء ويتنافسون فى أتفه الأشياء كيف يكون عاقلا من باع الجنة

---

(١) متفق عليه
(٢) رواه الترمذى
(٣) سورة الفرقان
(٤) سورة المدثر
(٥) سورة الدخان

وما فيها بشهوة ساعة . إن التنافس ينبغى أن يكون فيما أمرنا الله أن نتنافس فيـــه . وهو كل شيء يوصل إلى الجنة قال تعالى : (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون)(١) .

وقال تعالى(وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين)(٢) يا أخى ألست تريد أن تكون سعيداً فى الدنيا والآخرة هذا لا يكون إلا بتقوي الله .

وشيخ الإسلام أبو حامد الغزالى ذكر كلاما فى تقوى الله عندما وقع نظرى عليه فرحت به فرحا لا أستطيع التعبير عنه كأنى رأيت الجنة ونعيمها وأذكره هنا وأنصح لكل عاقل أن يكثر من التفكير فيه .

قال رضى الله عنه فى منهاج العابدين : فإن قلت فبين لنا الآن ما هو التقوى حتى نعلمه فاعلم أولا أن التقوى كنز عزيز فلئن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وعلق نفيس وخير كثير ورزق كريم وفوز كبير وغنم جسيم وملك عظيم فكأن خيرات الدنيا والآخرة جمعت فجعلت تحت هذه الخصلة الواحدة التى هى التقوى وتأمل ما فى القرآن من ذكرها فكم علق بها من خير وكم وعد عليها من أجر وثواب وكم أضاف إليها من سعادة وأنا أعد لك من جملتها اثنتى عشرة خصلة :

أولها : المدحة والثناء قال الله تعالى : (وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور)(٣) .

والثانى الحفظ والحراسة من الأعداء قال الله تعالى (وإن تصـــبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا)(٤) .

---

(١) المطففين (٢) سورة آل عمران

(٣) سورة آل عمران (٤) سورة آل عمران

والثالث : التأييد والنصرة قال الله تعالى (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وقال تعالى (والله ولى المتقين) .

والرابع النجاة من الشدائد والرزق من الحلال قال الله تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب) .

والخامس : إصلاح العمل قال الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم) .

والسادس : غفران الذنوب قال الله تعالى (ويغفر لكم ذنوبكم) .

والسابع : محبة الله قال الله تعالى : (إن الله يحب المتقين) .

والثامن : القبول قال الله تعالى : (إنما يتقبل الله من المتقين) :

والتاسع الإعزاز والإكرام قال الله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

والعاشر البشارة عند الموت قال الله تعالى:(الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) .

والحادى عشر : النجاة من النار قال الله تعالى (ثم ننجى الذين اتقوا) وقال تعالى :(وسيجنبها الأتقى) .

والثانى عشر : الخلود فى الجنة قال تعالى (أعدت للمتقين) .

فهذا بيان كل خير وسعادة فى الدارين تحت هذه التقوى فلا تنس نصيبك أيها الرجل منها ثم الذى يختص به هذا الشأن من أمر العباد ثلاثة أصول أحدها التوفيق والتأييد أولا وهو للمتقين كما قال تعالى (ان الله مع المتقين) .

والثانى إصلاح العمل وإتمام التقصير وهو للمتقين . كما قال الله تعالى : (يصلح لكم أعمالكم) .

والثالث قبول العمل وهو للمتقين كما قال الله تعالى :(إنما يتقبل الله من المتقين) ومدار العبادة على هذه الأمور الثلاثة التوفيق أولا حتى تعمل ثم الإصلاح للتقصير حتى يتم ثم القبول إذا تم وهذه الأمور الثلاثة هي التي يتضرع فيها العابدون إلى الله تعالى ويسألون فيقولون ربنا وفقنا لطاعتك وأتم تقصيرنا وتقبل منا وقد وعد الله تعالى ذلك كله على التقوى وأكرم بها المتقي سأل أو لم يسأل فعليك بهذه التقوى إن أردت عبادة الله سبحانه بل إن أردت سعادة الدنيا والعقبى ولقد صدق القائل :

من اتقى الله فذاك الذى   سيق إليـه المتجر الرابح

وقال غيره :

من عـرف الله علـم تغنه   معرفة الله فـــذاك الشقى

ما يصنع العبد بعز الغنى   والعز كل العـز للمتقى

فيا أخي اجمع عقلاء العالم هل يستطيعون أن يأتوا بنوع من السعادة لم تأت به هذه الآيات كلا وألف كلا، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهـــم اقسم لنا من خشيتك ماتحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ماتبلغنا به جنتك ومن اليقين ماتهون به علينا مصائب الدنيا اللهم متعنا بأسماعنا أبصارنا وقوتنا ماأحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولاتجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولاتسلط علينا من لايرحمنا اللهم اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم وأنت علام الغيوب اللهم عاملنا بفضلك ولاتعاملنا بأعمالنا فمنا يليق بلؤمنا ومنك مايليق بكرمك ياأرحم الراحمين .

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله صحبه وسلم وماتوفيقي إلا بالله عليك توكلت وإليه أنيب   تم الفراغ من هذا الشرح في يوم الاثنين التاسع عشر من شهر رجب ١٤٠٣ هـ .

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
القصيدة كاملة	٥
الإجتهاد والجد فى سلوك الطريق إلى الله	٨
المعاملة مع الله والفوز بالجنة	١٠
الاستعانة بالله والاستقامة على شرعة	١٤
من أهم آداب السلوك : السهر والجوع	١٧
الذكر والفكر والمراقبة والرجاء الخوف	٢١
ترك حظوظ النفس والصدق مع الله	٢٤
مجاهدة النفس وأنوارها	٢٦
حب الله ولزوم بابه	٣٢
قيام الليل وما فيه من الخيرات والبركات	٣٥
حقيقة العبودية لله عز وجل	٤٠
فضل الله العظيم على نبيه الكريم ﷺ	٤١
التحذير من الاغترار بالدنيا	٤٦
التحذير من فتنة الأحداث والنساء	٥١
معالجة ميل القلوب إلى شهوة النساء	٥٢
حكم سامية للعمل بها	٥٨
ذكر الموت يزهد فى الدنيا	٦٠
تذكر أحوال الموتى يرقق القلوب	٦٦
الناس والعلم والمال	٧١
حقيقة التقوى وشرف أهلها	٧٣

وهى مسك الختام إن شاء الله

مطابع الوفاء ـ المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت . ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠
تلكس ٢٤٠٠٤ DWFA UN

مطابع الوفاء - المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠
تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN



